مظاهر الأصالة والابتكار في طراز بورصة الأول
(الجامع ذو القبة الواحدة وتتقدمه سقيفة)

د / أحمد محمد زكي أحمد (•)

***الهدف من الدراسة:**

يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على الجامع ذو القبة وتتقدمه سقيفة أو ما يُطلق عليه طراز بورصة الأول، وأصوله الأولى والتي تؤكد على أصالته، وما حدث في هذا الطراز من مظاهر للابتكار والتطوير على يد المعماريين العثمانيين دون الابتعاد عن أساسيات هذا التخطيط، والذي يدور حول القبة وتتقدمها سقيفة دون غيرهما، وبمعنى آخر التطوير والابتكار في داخل هذا التكوين دون أن يبعده عن هيكله العام، أو يفقده شكله وتكوينه الأصلي، أي بعيداً عن التطور منه إلى الطراز التقليدي أو الكلاسيكي للعمارة العثمانية، والمكون من بيت صلاة (جناح قبلة) ويتقدمه صحن (حرم Avlu)، والذي بدأ من **جامع أوچ شرفلي (أوشي شرفة لي) Üç Şerefeli (ذو الثلاث شرفات) بأدرنة** (٨٤١ – ٨٥١هـ / ١٤٣٧ – ١٤٤٧م) وغيره من المساجد السلطانية الكبرى في هذا الطراز.

وتهدف الدراسة كذلك إلى محاولة مناقشة التهم التي قال بها بعض مؤرخي الفن والموجهة للعثمانيين بأنهم لم يستطيعوا انتاج فن كتلك الطرز الفنية الإسلامية التي نشئت في كنف الإسلام، كما إن طرازهم المبكر أو المعروف بطراز بورصة كان ملبياً لاحتياجات المجتمع البسيطة في الوقت المبكر، وبعد اتساع رقعة الدولة لم تكن هناك حاجة إلى هذا الطراز فتم الاستغناء عنه، وتحاول الدراسة الرد على هذه التهم وفق منهج علمي سليم قائم على التحليل والمقارنة واستنباط النتائج على ذلك.

***الكلمات المفتاحية:**

طراز بورصة المبكر – طرز بورصة الثلاثة – طراز بورصة الأول – الجامع القبة – السقيفة – شكل حرف (T) المقلوب – الجامع المتعدد القباب (اولو جامع) – (الجامع – المدرسة) – الفراغ المركزي – المعمار العثماني.

(•) أستاذ مساعد بقسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية.

***المقدمة:**

تأثر العثمانيون بأبناء عمومتهم **سلاچقة الروم** وغيرهم[١] فى مجال العمارة وفن البناء، فأخذوا عنهم العديد من الأساليب المعمارية السلجوقية مثل: **طراز الجامع ذو القبة وتتقدمه سقيفة**، والذى نقله سلاچقة الأناضول بدورهم عن أسلافهم **السلاچقة العظام** فى **بلاد فارس**، وكذلك **طراز الجامع المتعدد القباب (اولو جامع Ulu Camii)**، بل إنهم تأثروا **بمخطط حرف (T) الإنجليزي المقلوب**، والذي ظهر في **المدارس السلچوقية بالأناضول كمدرسة قره طاى Karatay** (٦٤٩هـ/١٢٥١م) **ومدرسة انچه مناره لى İnçe Minareli بقونية** (٦٥٨ – ٦٦٣هـ/١٢٦٠ – ١٢٦٥م)، فنفذه المعمار العثماني ولكن بتصرف منه في شكل جديد ومبتكر للجامع العثماني على شكل حرف (T).

وقد واصل العثمانيون أصالتهم للإرث الذي تركه أجدادهم السلاچقة فنقلوا عنهم العديد من العناصر المعمارية الإنشائية (الوظيفية)، ووحدات التصميم، إلى جانب الحليات والعناصر الزخرفية المطلقة مثل: السقيفة التي تتقدم المساجد، وأسلوب التغطية بالقباب والأقبية بأنواعها، ومناطق انتقال القباب من حزم من المثلثات التركية أو الأخرى المروحية الشكل، وكذلك الحال في شكل المحاريب وما يتوجها من المقرنصات في داخل تكوين مثلث، والمآذن السلچوقية الطراز والمبنية بالآجر، وفكرة تعددها، إلى جانب البناء بتناوب مداميك الحجارة والآجر، وأيضاً في استخدامهم للمقرنصات ذات الدلايات المستقيمة المتميزة والمختلفة عن الأخرى المنتشرة في مصر وبلاد الشام وغيرها من البلدان العربية، بالإضافة إلى استخدام الخزف فى الزخارف الجدارية سواء في الداخل أو الخارج للمباني، وغيرها من العناصر الأخرى.

ومع كل هذا الكم من التأثر العثماني الواضح بميراث الأجداد السلاچقة إلا أن البعض اتهم العثمانيون وفنهم بكونه معدوم الأصالة، ويتكون من عدة فنون مختلفة

---

(١) اسين آطيل، الفنون والعمارة عند العثمانيين، الفصل الأول من الباب الخامس ضمن "كتاب الدولة العثمانية تاريخ وحضارة"، ترجمة صالح السعداوي، اشراف أكمل الدين احسان أوغلو، مجلدان، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثافة الإسلامية (إرسيكا)، إستانبول، ١٩٩٩م، مج٢، ص ٦٩٣ – ٦٩٥.

تم تجميع بعضها إلى بعض بلا أي توجيه؛ وبالتالي فكانت التهمة الموجهة للعثمانيين أنهم لم يستطيعوا انتاج فن كتلك الطرز الفنية الإسلامية التي نشئت في كنف الإسلام، وهو ما عبر عنه **بلوشيه Blochet** بأن العثمانيين ليسوا إلا محبين للفن ومشجعين عليه وفقط، بل أنهم لم يحققوا أي تقدم فني يُذكر؛ وبالتالي لم يبدعوا ويبتكروا أي شيء في الفن[١]، ومن خلال هذه الدراسة سنحاول استخدام المنهج العلمي الدقيق القائم على التحليل والمقارنة للرد على هذ الرأي حول الفن العثماني بصفة عامة، والعمارة العثمانية بصفة خاصة؛ بهدف اظهار صحته أو مجانبته للصواب، وذلك بالتطبيق على أُنموذج طراز بورصة الأول (الجامع ذو القبة وتتقدمه سقيفة) [٢] في فن العمارة العثمانية، بهدف معرفة هل هو بمثابة ارث من سلاچقة الروم ومن البكويات (الدويلات) الناشئة بغرب الأناضول قد نقله وجمعه العثمانيون عنهم بدون أي تصرف منهم وإبداع وتطوير فني، أم أنهم ابتكروا وطوروا فيه فجعلوه مختلفاً نوعاً ما ومتطوراً عما سبق.

*** طراز بورصة (الطراز المبكر):**

يعد طراز بورصة هو الطراز المبكر الذي نشأ منذ فتح العثمانيين لمدينة بورصة (بورسة – بروصة) **Bursa** [٣] في عام (٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) – شكل رقم (١) أ –

---

(١) عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية فى العصر العثمانى، هيئة الكتاب، القاهرة ١٩٨٧م، ص ٢٢٩.

(٢) حرص الباحث – من وجهة نظره – على اظهار مظاهر الابتكار والتطوير في هذا الطراز مع المحافظة على شكله العام دون أن يفقده تكوينه المعماري الأصلي من قبة وتتقدمها سقيفة، وقد قام بعض الباحثين من خلال تناولهم لهذا الطراز من ضمن دراستهم للعمارة العثمانية ككل إلى تحليل ما طرأ عليه من التطور إلى الطراز التقليدي أو الكلاسيكي في العمارة العثمانية من بيت صلاة (جناح قبلة) ويتقدمه صحن (حرم)، بداية من جامع أوج شرفلي بأدرنة وما تلاه من الجوامع السلطانية الكبيرة، راجع بعض هذه الدراسات ومنها، محمد حمزة إسماعيل الحداد، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج ١، ط ١، الكويت : جامعة الكويت، ص ١٦٨ – ١٩٤.

(٣) **مدينة بورصة أو بورسة Bursa:** ذكر ابن بطوطة عن هذه المدينة أثناء زيارته لها حول اسمها: "ثم سرنا إلى مدينة بُرْصىَ وضبط اسمها بضم الباء الموحدة وإسكان الراء وفتح الصاد" ووصفها قائلاً: "مدينة كبيرة عظيمة حسنة الأسواق فسيحة الشوارع تحتها البساتين من جميع جهاتها والعيون الجارية وبخارجها نهر ماء شديد الحرارة، يصب فى بركة عظيمة، .....، والمرضى يستشفون بهذه الحِمّة"، ويقول عن فاتحها: "ووالده (أى عثمان) هو الذى فتح مدينة بُرْصىَ من أيدى الروم وقبره بمسجدها وكان مسجدها كنيسة"، وتقع هذه المدينة بمنطقة مرمرة في شمال غرب الأناضول، بين مدينتي إستانبول وأنقرة، وقد فُتِحت عام (٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) على يد أورخان=

واتخاذهم اياها حاضرة لدولتهم، أي منذ القرن (٨هـ / ١٤م) وحتى القرن (٩هـ / ١٥م)، أي أنه استمر ما يقرب من قرنين من الزمان لما بعد فتح **مدينة القسطنطينية** (٨٥٧هـ / ١٤٥٣م)، فنشأ طرازاً فنياً مصبوغاً بصبغة **سلاچقة الروم، والبكويات (الدويلات)** الناشئة على انقاضها في – شكل رقم (١) ب – غرب منطقة الأناضول.

ويرى البعض أن هذا الطراز المبكر أو ما يُعرف بطراز بورصة كان انعكاساً لنظام الإدارة العثمانية البسيط في تلك الفترة المبكرة، وملبياً لاحتياجات المجتمع البسيطة في ذلك الوقت المبكر، وبعد اتساع رقعة الدولة وترامي أطرافها – وتحديداً بعد فتح القسطنطينية – لم تكن هناك حاجة إلي هذا الطراز فتم الاستغناء عنه، اللهم إلا بعض النماذج المحدودة التي تلت الفتح بما يقرب من عقدين من الزمان [١]، غير أننا من خلال هذه الدراسة سنحاول الرد على هذا الرأي بترجيح استمراره مع احداث نوع من التجديد والابتكار والتطوير عليه من عدمه.

غازي ابن عثمان بك، والذي تخلف عن الفتح بسبب المرض، فعلم بفتح مدينة بورصة وهو على فراش الموت؛ إذ وافته المنية فى ٢١ رمضان (٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)، ودُفِن بها، وقد شهدت تلك المدينة عصراً ذهبياً بالفتح العثمانى لها؛ فقد أصبحت منذ ذلك التاريخ حاضرة للدولة العثمانية الناشئة عقب تولي أورخان لمقاليد الدولة، واستمرت حاضرة لها حتى عام (٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)، وقد شهدت هذه الفترة نشاطاً معمارياً ملحوظاً إذ شُيدت بها العديد من الجوامع، والمدارس والأضرحة والمقابر والحمامات، وقد شجع أورخان ومن خلفه، المعماريين العثمانيين على تطوير مواهبهم لإنتاج أشكالاً معمارية متأثرة بالطراز السلجوقي مع الابتكار والتجديد، راجع، ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة، أربعة أجزاء، نشر دفرمرى C.Defrimery، وسنجوينتى B.R.Sanguinetti، باريس ١٨٥٣م، جـ٢، ص ٣١٧ – ٣٢٢؛ وكذا، مصطفى بن الحاج إبراهيم، مخطوط بعنوان تاريخ الملوك العثمانية والوزراء والصدور ومشايخ الإسلام والقبودانات، مكتبة كلية الآداب، رقم (٢٨١٢)؛ وكذا، Vogt – Göknil, Ulya, Living Architecture: Ottoman, London, 1966, p. 11؛ وكذا، محمد فريد بك المحامى، الدولة العليا العثمانية، تحقيق إحسان حقى، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٧م، ص ١١٩ – ١٢٠، ١٢٤؛ وكذا، أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح د. محمود الأنصاري، مجلدان، منشورات فيصل للتمويل – تركيا، استانبول، ١٩٨٨م، مج ١، ص ٩٢ – ٩٣.

(١) اسين آطيل، الفنون والعمارة عند العثمانيين، مج٢، ص ٦٩٥ – ٧٠١؛ عبد الله عطية عبد الحافظ، الجوامع العثمانية المبكرة في إستانبول "دراسة أثرية معمارية"، مجلة كلية الآداب جامعة المنصورة، العدد٢٦، يناير ٢٠٠٠م، ج١، ص ٥٤٠، حاشية رقم (٢)، ص ٥٧٩.

والحقيقة أنه قد ظهرت للجامع العثمانى في طراز بورصة المبكر عدة نماذج هي ما يلي:

أ- **الأُنموذج الأول:** الجامع ذو القبة وتتقدمه سقيفة (موضوع الدراسة والبحث).

ب- **الأُنموذج الثانى:** الجامع المتعدد القباب (الجامع الكبير - الأولو جامع Ulu Camii - الجامع ذو الأكتاف أو الأعمدة). - شكل رقم (٢) -

جـ- الأُنموذج الثالث: الجامع على شكل حرف (T) الإنجليزي المقلوب أو جامع طراز بورصة أو الجامع ذو الأجنحة أو الجامع ذو الزوايا أو الطراز الإيواني. - شكل رقم (٣) -

أولاً- مظاهر الأصالة في أُنموذج طراز بورصة الأول (الجامع ذو القبة وتتقدمه سقيفة):

تأثر المعمار العثماني في بداياته كغيره من المعماريين في الإمارات التركمانية (البكوات) الناشئة فى الأناضول بعمارة أسلافه سلاچقة الروم فى آسيا الصغرى[١]، والمتمثلة في هذا الطراز المكون من مسقط أفقي مربع الشكل تغطيه قبة - وأحياناً سقف جمالوني مسنم الشكل - وتتقدمه سقيفة - وقليلاً ما يتم الاستغناء عنها - مغطاه بقباب صغيرة أو أقبية أو الإثنين معاً أو بسقف خشبي مسطح مائل، وهو ما ظهر أول الأمر في عمائر **السلاچقة العظام فى بلاد فارس**، كما في **مسجد يزدى كاشت Yazdi Kasht**، **ومسجد بيرون**، **ومسجد قرفه** وغيرهم [٢]، وقد نقله عنهم

---

(١) ظهرت هذه الإمارات أو البكويات أو المقاطعات التركمانية فى منطقة الأناضول (أسيا الصغرى) فى القرن (٧هـ/ ١٣م)، وكانت تدين بالولاء والتبعية للسلطان السلجوقى في قونية، ثم ما لبثت أن أعلنت استقلالها عن السلاچقة بعد سقوط دولتهم على يد الإيلخانات، غير أن العثمانيين أسقطوهم الواحدة تلو الأخرى فى القرنين (٨ - ٩هـ /١٤ - ١٥م)، وللاستزادة حول أهم السلالات التركمانية الأصلية التي سُميت الإمارات الأناضولية باسمها، وتاريخ وحدود كل منها وامتداده الجغرافي، راجع، هدايت يتمور، جامع الملكة صفية، مخطوط رسالة ماجستير غير منشورة، ٢مج، كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٧٧م، مج ١، ص ٣٥ - ٣٧؛ وكذا، أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مج ١، ص ٧٤ - ٧٧.

(٢) على محمود سليمان المليجى: الطراز العثمانى فى عمائر القاهرة الدينية، مخطوط رسالة ماجستير غير منشورة، ٢مج، آداب أسيوط ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، مج١، ص ١٣١، ٢٩٠. =

سلاچقة الروم في عاصمتهم **قونية** كما في: **مسجد بشارة بك** (٦١٠هـ/ ١٢١٣م)، و**مسجد طاش (لحاچى فروح)** (٦١٢ هـ / ١٢١٥م)، ومسجد **قره طاى الصغير** (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، **ومسجد صرجالي** فى النصف الثانى من القرن (٧هـ / ١٣م) [١]، وكذلك الحال في المساجد الملحقة ببعض **المدارس السلچوقية بقونية** كما فى المسجد الملحق **بمدرسة طاش Taş** فى **آق شهر بقونية** (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) والمسجد الملحق **بمدرسة انچه مناره لى İnçe Minareli بقونية** (٦٥٨ – ٦٦٣هـ / ١٢٦٠ – ١٢٦٥م) [٢].

– شكل رقم (٤)، (٥)، لوحة رقم (١) –

وقد نقل العثمانيون هذا الطراز بدورهم عن أجدادهم السلاچقة، ولعل من أقدم نماذجه **جامع حاچى أوزبك Haçi Ozbek** (٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م)، فى **أزنيك** – شكل رقم (٦) – والذي يعد أقدم الجوامع العثمانية ذات القبة الموجودة حتى الآن، وكذلك الحال **جامع علاء الدين فى بورصة** (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥ – ١٣٣٦م)، وغيرهما الكثير [٣]، وهو ما يؤكد أصالة المعمار العثماني في ذلك الطراز، ورغم ذلك إلا أنه

يرى محمد حمزة أن هذا الطراز لم يكن ابتكاراً جديداً للسلاچقة لكنه مجرد حلقة ومرحلة من مراحل تطور طويلة، ذاكراً أن العمارة الإسلامية عرفت إقامة هذا النوع من المساجد الصغيرة منذ النصف الثاني من القرن (١هـ / ٧م) على أقل تقدير بل ربما قبل ذلك بقليل – على حد قوله – كما في مساجد خطط القبائل العربية، وقد استدل على ذلك الأمر بما ورد ضمن كتابات بالمصادر التاريخية، وتؤكدها الأدلة الأثرية الباقية، راجع، محمد حمزة إسماعيل الحداد، طراز المسجد القبة وأنماطه الباقية في المدينة المنورة والهفوف – دراسة تحليلية مقارنة للتخطيط وأصوله وتطوره في العمارة الإسلامية، بحث ضمن كتاب اللقاء العلمي الثاني لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليجي، الرياض، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م، ص ٩ – ١١؛ وكذا، محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج١، ص ١٧٦ – ١٧٧.

(١) على أحمد الطايش، طراز المساجد السلچوقية ببلاد الأناضول، بحث فى كتاب ندوة الآثار الإسلامية فى شرق العالم الإسلامى دار طيبة، ١٩٩٨م، ص ٢٢٧ – ٢٢٨.

(٢) ما دفع السلاچقة والعثمانيين إلى هذا المخطط هو مواجهة جو الأناضول القارس البرودة، والذي يتطلب مساحة مركزية مغطاة

Göknil, Ulya, Living Architecture: Ottoman, pp. 47 – 48.

(٣) للاستزادة حول التكوين المعماري وهندسة بناء كل منهما، وشكل سقيفتهما، ومواد البناء بهما، راجع،

Goodwin, Godfrey, A History of Ottoman Architecture, London, 1971, p. = 17.

قد قام بإعمال فكره في سبيل تطوير هذا الإرث الأصيل لأجداده بما يخدم متطلبات واحتياجات عصره فاتجه إلى **الابتكار والتطوير في مساحة الفراغ الناشيء عن المساحة الداخلية الناتجة عن هذا الطراز (الفراغ المركزي)**، والذي ورثه عن أجداده السلاچقة، إلى جانب التنوع في القطاعات التي تقوم عليها القباب التي تعلو مساحة عمائره من هذا الطراز، والتنوع كذلك في مناطق انتقالها، إلى جانب إضافة أجنحة جانبية (مستعرضة) لمساحة هذه القباب، وأخرى على محور المحراب، وكذلك على المحاور الأربعة للقبة؛ بهدف زيادة مساحة هذا الفراغ المنشود ليشمل جموع المصلين، أي زيادة وتوسعة المساحة الداخلية للجامع.

ويضاف إلى ما سبق اتجاه المعمار العثماني إلى **التحديث والتطوير في المساحة الخارجية التي تتقدم عمائر هذا الطراز ذي القبة أو ما يُعرف بالسقيفة**؛ فتفنن في استحداث أشكال ونماذج عدة متعددة ومتنوعة منها شكلاً وتكويناً؛ بهدف زيادة وتوسعة المساحة الخارجية للجامع، فضلاً عن الإتجاه إلى فكرة تعدد المآذن في بعض نماذج هذا التخطيط، والتنوع والتطوير في العناصر المعمارية الإنشائية، والحليات والزخارف داخلياً وخارجياً لهذا التخطيط، وفيما يلي دراسة مفصلة لطراز بورصة الأول بين الأصالة السلچوقية والابتكار العثماني.

والحقيقة أن التطور والابتكار في الأساليب والأفكار الفنية العثمانية كان ناتجاً عن اتساع رقعة الدولة العثمانية وامتداد حدودها، ودخول كيانات وموجودات ثقافية متباينة ومتعددة الأعراق واللغات وذلك في منطقة الأناضول، وقد حدث فيما بينها نوع من التأثير المتبادل؛ فنتجت توليفة متناسقة استحدثت وابتكرت أشكالاً عثمانية مبتكرة وجديدة [1]، وهو ما يتجلى فيما يلي:

Kuran, Abtullah, Sinan The Grand Old Master of the Ottoman Architecture, Istanbul, 1987, p.42.

وللاستزادة عن نماذج هذا الطراز في مدن أوروبا العثمانية وتحديداً منطقة البلقان وما تضمه من دول: بلغاريا، والمجر، واليونان، ودول الإتحاد اليوغسلافي السابق: البوسنة والهرسك وصربيا والجبل الأسود ومقدونيا اليوغسلافية وبلغراد وألبانيا، وجزر رودس وكريت،

راجع، محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج١، ص ١٦٩ – ١٧٦.

(١) اسين آطيل، الفنون والعمارة عند العثمانيين، مج٢، ص ٦٩٣.

ثانياً- مظاهر الابتكار والتطور في التكوين الداخلي لطراز بورصة الأول:

أ- من حيث بداية محاولة زيادة مساحة الفراغ المركزي:

لم يكن المعمار العثماني ناقلاً ومقلداً وفقط كما يرى ذلك البعض من مؤرخي الفن بل إنه وضع أهدافاً عدة أمامه، وقد عمل على الوصول إليها وحل معضلتها، وهي:

١- العمل على زيادة مساحة الفراغ المركزي الممتد؛ لكي يلائم أداء عقيدته وسنة وهدي رسوله الكريم (ص) في عدم قطع صفوف المصلين الممتدة، طبقاً لما ورد من أحاديثه النبوية الشريفة والتي وردت في كتب الأحاديث الأربعة الصحيحة للبخاري، ومسلم، وابن ماجه، والنسائي، باب: (النهي عن الصلاة بين الأساطين) [١].

٢- إكمال طرز مخططات المساجد بداية من طراز المسجد النبوي بالمدينة، **"طراز الجامع على نظام الأروقة (الظلات) حول الصحن" (Arcaded Congrational Mosque and Sahn)**، ومروراً "بطراز الجامع **ذو الإيوانات المتعامدة على الصحن أو الدرقاعة" (الطراز الإيوانى أو الطراز السني)، (Iwen Congrational Mosque and Sahn).**

٣- مواجهة نقص الرخام المتوفر لديه؛ وبالتالي نقص أعداد الأعمدة اللازمة لتشييد عمائره.

٤- مواجهة جو الأناضول القارس البرودة والذي يتطلب مساحة مركزية مغطاة بقبة.

---

(١) للاستزادة عن هذه الأحاديث النبوية الشريفة يمكن الرجوع إلى عرض وتحليل الباحث لها في، أحمد محمد زكي أحمد، تطور مساحة الفراغ المركزي في المساجد العثمانية بإستانبول، المجلة المصرية للآثار الإسلامية (مشكاة)، المجلد الرابع، مطابع المجلس الأعلى للآثار، وزارة الثقافة، ٢٠٠٩م، مج٤، ص ٧٩ – ١٥٩.

والحقيقة أنه قد سعى إلى تنفيذ كل هذه الأمور من خلال سلسلة من التجريب والتطوير المتواصل المصبوغ بميراث أجداده السلاچقة حتى وصل إلى حد بعيد إلى ما يرنو إليه، وهو ما بدأه في طراز بورصة الأول على النحو التالي:

بدأ المعمار العثماني أولى محاولاته لزيادة الفراغ الداخلي في أُنموذج طراز بورصة الأول في **يشيل جامع (Yeşil Camii) (الجامع الأخضر) بإزنيك** (٧٨٠ – ٧٩٥هـ/ ١٣٧٨ – ١٣٩٢م) [١]، وذلك بإضافة **مهندس الجامع حاچي موسى (موسى علما)** سقيفة داخلية، تمثل امتداد للفراغ الداخلي؛ بحيث تبدو وكأنها تشكل امتداداً له وغير معزولاً عنه، فيؤدي كل منهما إلى الآخر، فتصبح تلك السقيفة الداخلية بمثابة الزيادة والامتداد لبيت الصلاة، وهذه السقيفة الداخلية تلي السقيفة الخارجية مباشرة وتكاد تماثلها؛ وقد نتج عنها تغيير في مسقط طراز بورصة الأول من التكوين المربع المعهود إلى التكوين المستطيل. – شكل رقم (٧)، لوحة رقم (٢) –

أما الخطوة التالية لمرحلة تطوير الجامع ذو القبة فكانت بإضافة أربع دخلات تشبه الإيوان الصغير على المحاور الأربعة لمخطط القبة المركزية؛ فنتج عنه إضافة مساحة من الفراغ في هذه المحاور، ورغم كونه كان محدوداً إلا أنه كان بمثابة مرحلة مهمة ومحاولة جديدة لزيادة مساحة الفراغ أسفل مخطط الجامع على طراز بورصة الأول، وهو ما نراه في مخطط **جامع أورخان** فى **بيلاچيك Bileçik**، والذى أرخه **آصلان آبا** بالنصف الثانى من القرن (٨هـ/ ١٤م)، ويلاحظ ان مخطط هذا الجامع

---

(١) حول مخطط هذا الجامع ومشيده قره خليل جاندارلي باشا، على يد المعمار العثماني موسى علما، بالإضافة إلى كون الجامع يمثل حلقتى الأصالة والتجديد فى العمارة العثمانية ما بين التأثير السلجوقي والتطوير والابتكار العثماني ومظاهره راجع، آصلان آبا، أوقطاى، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد عيسى، مركز البحوث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، إستانبول ١٩٨٧م، ص ١٦٦؛ وكذا، محمد جاد: تذاكر المعمارى سنان دراسة وترجمة إلى العربية، مخطوط رسالة ماجستير، آداب عين شمس، ١٩٨٤م، ص ١٦٩؛

Kuban, Doğan, L'Architecture Ottomane, L'Art en Turquie, Paris, 1962, p. 142.

قد خلا من السقيفة، ومن النماذج الأخرى التي تماثله مخطط **جامع أحمد كتخدا العزب** (١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م) – أثر رقم (١٤٥) – يمين المار من باب العزب بالقسم الجنوبي من **قلعة الجبل في القاهرة**، غير أنه يحتوي على سقيفة، ولكنها تقع في الجهة الشمالية الشرقية (البحرية) على غير محور القبلة والذي كان معتاداً دوماً، ومن نماذجه الأخرى المتأخرة **جامع الخان (Han Camii)** (١٣١٦هـ / ١٨٩٩م) في **طلاس بالأناضول**، والذي تتقدمه سقيفة مزدوجة [١]. – شكل رقم (٨)، (٩)، لوحة رقم (٣) –

ب- من حيث تنوع القطاعات التي تقوم عليها القبة ومناطق انتقالها وإضافة أجنحة جانبية (مستعرضة) وأخرى على المحاور المختلفة لها:

استمر المعمار العثماني في بناء مساجده وفق مخطط الجامع ذو القبة حتى بعد فتحه لمدينة **القسطنطينية**، مع اتجاهه إلى التطوير والتحديث في مخططه سواء من حيث محاولاته لزيادة مساحة الفراغ المتشكل أسفل قبته من خلال ما يُعرف باسم **الأجنحة الجانبية (المستعرضة)**، وذلك بجعل الفراغ المركزي يمتد من أسفل القبة إلى المحورين الجانبيين، ثم يمتد عبر **محور المحراب**، بل تخطاه إلى **زيادة المساحة على المحاور الأربعة للقبة المركزية**؛ وبالتالي زيادة وتوسعة المساحة الداخلية للجامع.

وبالإضافة إلى ما سبق اتجه المعمار العثماني إلى التنوع في القطاعات التي تقوم عليها هذه القبة، إلى جانب ظهور أنواع أخرى من مناطق انتقالها، فظهرت القبة على **قطاع مربع** مثل نماذج **مدينة بورصة** ولكن مع اختلاف مناطق الانتقال، وبتأثر واضح بالنماذج **البيزنطية** التي رآها العثمانيون في مدينة القسطنطينية؛ حيث

---

(١) حول تأصيل مخطط هذا الجامع في العمارة العثمانية، ورأي محمد حمزة بأصوله في نماذج لأضرحة مملوكية بمصر، ونموذجه الوحيد بأوروبا العثمانية، راجع، على المليجي، الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية، مج ١، ص ٣٥٥ – ٣٥٩؛ وكذا، محمد حمزة إسماعيل الحداد، موسوعة العمارة الإسلامية في مصر من الفتح العثماني حتى عهد محمد علي (المدخل)، (الكتاب الأول)، مكتبة زهراء الشرق، د.ت، ص ١٠٣ – ١٠٥، شكل رقم (١٤٨)؛ وكذا، محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج١، ص ١٨٠ – ١٨٣، شكل رقم (٥٥ – ٥٧).

حلت **المثلثات الكروية**[1] محل **المثلثات التركية (Turkish Tringles)**، والتي كانت سائدة في نماذج هذا الطراز **بمدينتي بورصة وازنيك**، وهو ما نراه فى **جامع فيروز أغا (Firuz Ağa)** زمن **السلطان بايزيد الثاني** والمشيد في عام (٨٩٦ هـ / ١٤٩١م) **بشارع ديوان** في **إستانبول** – شكل رقم (١٠)، لوحة رقم (٤) – **وجامع مهرماه عند بوابة أدرنة** فى **إستانبول** (٩٧٢هـ/ ١٥٦٥م) والفراغ منه فى أواخر العقد السادس من القرن (١٦م)[2]، ويلاحظ أن مهندس هذا الجامع الأخير **المعماري العثماني الشهير سنان بن عبد المنان** [3] قد أضاف إلى مساحة قبته المركزية

---

(١) يذكر تالبوت رايس أن المثلثات الكروية لم تكن معروفة لدى بلاد فارس، وأن أقدم أمثلتها يرجع إلى المنطقة العربية ببلاد الشام قبل الإسلام، فى قصر النويس بالقرب من عمان، والذي يرجع إلى أواخر القرن (٢م) وأوائل (٣م)، راجع،
Rice, David Talbot, Byzantine Art, Penguin, 1968, pp. 87 – 88.
ويضيف إلى ذلك صالح لمعى، أمثلة أخرى بالقرب من سباستيه (١٩٣ – ٢١١م)، وفى حمام بالقرب من البتراء ترجع إلى تلك الحقبة أيضاً. راجع، صالح المعى، القباب فى العمارة الإسلامية، بيروت، د. ت، ص ١٨.

(٢) Ünsal, BahÇet, Turkish Islamic Architecture in Suljuk and Ottoman Times (1071– 1923) , London, 1959, p. 22.، وحول مخطط جامع مهرماه سلطان عند بوابة أدرنة، وهندسة بناء قبته الضخمة وسقيفته المزدوجة، والمدرسة، والكُتَّاب والمدفن، راجع، آصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، ص ١٩٨؛ وكذا، Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 245 – 255; Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 133 – 128 ؛ أحمد محمد زكي أحمد، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مجلدان، مخطوط رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٢م، مج ١، ص ٢٥٩ – ٢٦٨.

(٣) يعد المعمار العظيم (قوچه سنان) سنان بن عبد المنان هو من أعظم معماري العالم؛ إذ يشهد له بذلك الأجانب قبل المسلمين، بل إن المستشرقين قد ساووا بينه وبين فناني عصر النهضة الأوروبية، بل جعله بعضهم أكثر تفوقاً عليهم، وكيف لا وقد بلغت عمائره دقة وروعة في التصميم والتخطيط وهندسة البناء فضلاً عن عناصر الإنشاء والحليات والزخرفة، وللاستزادة عن نشأته ومسقط رأسه في قرية أجيرناس ضمن إقليم قيصري بالأناضول، ورحلته في فرق الإنكشارية وكيفية توليته رئاسة المعمارية خلفاً لرئيسها سلفه عجم علي، إلى جانب عمائره ومنشآته، ووصفه، وصفاته، ومذكراته، وتحليل فترات عمله وحياته ما بين الإعداد والتكوين، والنضج الفني، وبلوغه الذروة ثم الأستاذية، راجع، دراسات كل من: =

مساحة جانبية فى شكل أجنحة مستعرضة تكتنفها يميناً ويساراً، وتعلو كل جناح منهما ثلاث قباب، فحول بذلك التكوين المربع إلى مستطيل، ويتقدم الجميع سقيفة مزدوجة – شكل رقم (١١)، لوحة رقم (٥) –.

وظهرت كذلك القبة على قطاعات أخرى مثل **القطاع السداسي، والقطاع المثمن**، مع استخدام نوع ثالث من مناطق انتقال القباب وهو **الحنايا** [١] إلى جانب استخدام **المثلثات الكروية** كذلك في بعض النماذج، غير أن فكرة **الحنايا** كانت تتلائم أكثر مع القبة على هذين القطاعين السداسى أو المثمن، حيث لا تحتاج القبة إلى أركان قوية، وإنما تحتاج إلى جوانب قوية، فينتقل الثقل إلى جوانبها، بحيث تضغط على حواف الجدران، أما المثلثات الكروية فتصلح للقطاعات المربعة حيث تنقل ثقل القبة إلى الأركان مباشرة [٢].

ولعل من نماذج **القباب على قطاع سداسي الشكل** وفق طراز الجامع ذي القبة وتتقدمه سقيفة **جامع الأدميرال سنان باشا Sinan Paşa فى بشكطاش**

إبراهيم أدهم، أصول معماري عثماني، إستانبول، ١٨٧٣م؛ وكذا، أحمد جودت بك، تذكرة البنيان، (قوجه معمار سنان مكملاً ترجمة جاليله آثاري حقنده معلوماتي حاويدر مؤلف ساعي)، دار سعادت، أقدام مطبعة سي، ١٣١٥هـ؛ وكذا،

Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 197 – 201; Stratton, Arthur, Sinan, London, 1972; Selcuk, Mülayim, Sinan Vec agi, Istanbul, 1989; Kuran, Sinan, The Grand Old Master of Ottoman Architecture; محمد السيد محمد جاد، تذاكر المعماري سنان – دراسة وترجمة إلى العربية، مخطوط رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة عين شمس، ١٩٨٤م؛ وكذا، أحمد محمد زكي أحمد، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ص ٦١ – ١٢١.

(١) تعد الحنايا الركنية بمثابة ابتكار ساساني؛ حيث استخدمها الساسانيون فى تحويل المربع إلى تكوين دائري تعلوه القبة، ولعل أقدم مثال لها لا يزال باقى حتى الآن فى قصر فيروز أباد الساسانى فى بلاد فارس، والذي يرجع إلى القرن (٣م)
راجع، Rice, Talbot: Byzantlne Art, pp. 86 – 87.

(٢) Kuran, Sinan The Grand Old Master of the Ottoman Architecture, p. 101.

Beşikataş (٩٦٣هـ/ ١٥٥٥ – ١٥٥٦م) [١] **باستانبول**، والذي صممه **المعمار سنان** كذلك – شكل رقم (١٢) – وفي تصميمه لهذا الأُنموذج يلاحظ إضافة أجنحة جانبية للقبة على هيئة رواق جانبي مقسم إلى قسمين متساويين، تغطي كل منهما قبة صغيرة، بالتشابه نوعاً ما مع مخطط **جامع أوچ شرفلى** (٨٤١– ٨٥١هـ / ١٣٣٨– ١٤٤٧م) في **أدرنة** [٢] من حيث المسقط الأفقي (مخطط) بيت الصلاة (جناح القبلة) في كلاهما، غير أنه يتقدم جامع الأدميرال سقيفة مزدوجة، تمثل أحد

---

(١) للاستزادة حول جامع الأدميرال سنان في بشكطاش بإستانبول، وتاريخ بنائه، والتكوين المعماري وهندسة البناء للمجمع، والجمع بين الجامع والمدرسة حول فناء أوسط مكشوف، وفكرة السقيفة المزدوجة في هذا الجامع، وما ساقه جودوين من كون السقيفة الداخلية تم إدماجها في عصر لاحق، راجع،

Goodwin, A History of Ottoman Architecture, p. 241; Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 104 – 110;

أحمد محمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ص ١٨٤ – ١٨٨.

(٢) مخطط جامع أوچ شرفلي من قسمين: الأول يمثل جناح للقبلة من مستطيل الشكل قياساته (٦٠ م × ٢٤,٢٥ م)، وتهيمن عليه قبة مركزية ضخمة قطرها (٢٤,١٠ م)، تقوم على قاعدة سداسية الشكل، ويكتنفها رواق بكل جانب يحتوي على قبتين يبلغ قطر كل واحدة منهما (١٠,٥٠م)، إلى جانب قبيبات صغيرة في الفراغات الناتجة عن القبة السداسية القاعدة وما يجاورها من قباب، أما القسم الثاني من الجامع فيمثله صحن السماوي مكشوف يتوسطه شادروان، وهو يمثل أول وأقدم نماذجه في العمارة السلجوقية والعثمانية قاطبة، ويذكر أنصال بهجت أن سلاچقة الأناضول قد عرفوا نماذج قليلة من الفناء المكشوف في مساجدهم كما في الجامع الكبير في سيواس، غير أنه يخلو من فكرة الأروقة والتي ظهرت في جامع أوچ شرفلي، ويضيف بأن الأروقة بدأت تظهر في المساجد ولكن في فترة الإمارات (البكويات) وليس السلاچقة، وكانت الأروقة من ثلاث جوانب فقط كما في مسجد اسحق شلبي (٧٦٨ هـ / ١٣٦٦م)، ثم في مغنيسه، ثم في مسجد عيسى بك في سيواس (٧٧٧هـ / ١٣٧٥م). Ünsal, Baçet, Turkish Islamic Architecture, pp. 78 – 79؛ وكذا، آصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، ص ١٨٢ – ١٨٣؛ وكذا، محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج ١، ص ١٨٤ – ١٨٧ – ١٨٨، ٢١٤ – ٢١٥.

أضلاع الرواق الذي يحيط بالصحن المشترك بين الجامع والمدرسة المقابلة له في تكوين واحد يجمع بينهما، أما في مخطط جامع أوچ شرفلى فيتقدمه أول أُنموذج للصحن (الحرم) والذي يتقدم بيت الصلاة (جناح القبلة) في العمارة العثمانية – شكل رقم (١٣)، لوحة رقم (٦) –.

ومن النماذج الأخرى التي تُظهر ابتكار المعمار العثماني وتطويره لأُنموذج طراز بورصة الأول مخطط **جامع قره أحمد Gazi Kara Ahmed Paşa بطوب قابى Topkapi** فى **إستانبول** (٩٦٩هـ / ١٥٦١-١٥٦٢م) [١]، والذي يعد تطوراً للأُنموذج السابق في جامع الأدميرال سنان، ومخططه من قبة على قطاع سداسي – شكل رقم (١٤)، لوحة رقم (٧) – فقد وضع فيه المعمار سنان بكل ركن من الأركان الأربعة للقبة نصف قبة صغيرة، تشكل فراغاً انسيابياً ممتداً أسفل القبة بدون أي فواصل تحول دون امتداده، ويمتد هذا الفراغ مرة أخرى من خلال إضافة أجنحة جانبية تلى أنصاف القباب، تبدو وكأنها جزءاً مكملاً وليس منفصلاً عن الفراغ المتشكل من القبة وأنصافها الأربعة، ويتقدم الجميع سقيفة تمثل أحد أضلاع الرواق الذي يحيط بالصحن المشترك بين الجامع والمدرسة المقابلة له بالتشابه مع جامع الأدميرال سنان.

وقد طور المعمار العثماني الجامع ذو القبة القائمة على قطاع سداسي وتتقدمه سقيفة مرة ثالثة، وذلك في **جامع صوقللو محمد باشا Sokollu Mehmed Paşa بقادرغه Kadirğa** فى **إستانبول** (٩٧٩هـ/ ١٥٧١ – ١٥٧٢م) [٢]؛ بحيث

---

(١) للاستزادة حول مخطط جامع ومدرسة قره أحمد باشا في طوب قابي، وفكرة الصحن كرابط عضوي يجمع بينهما معاً في بناء واحد ومتكامل بصورة أكثر تطوراً عن ذي قبل في مخططات العمائر العثمانية من هذا النوع، راجع، Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 244 – 246; Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 111 – 114؛ أحمد محمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ص ٢٤٠ – ٢٤٨.

(٢) يعد **صوقللو محمد باشا** واحداً من أعظم الصدور العظام في الدولة العثمانية، فقد تولاها أواخر عهد السلطان سليمان القانوني، وطوال عهد ابنه السلطان سليم الثاني، وبداية عهد السلطان مراد الثالث، وذلك منذ عام (٩٧٢هـ / ١٥٦٥م) وحتى عام (٩٨٧هـ / ١٥٨٩م)، ويرجع أصله إلى=

جعله من قبة سداسية القاعدة، ويشغل أركانها أربعة أنصاف قباب، ويرتكز الجميع على جدران الجامع مباشرة، بحيث يتم الجمع ولأول مرة ما بين المركز والمجنبات (الأجنحة الجانبية) الناتجة عن أنصاف القباب في تكوين يمثل وحدة واحدة ومتكاملة تُشكل تكاملاً فراغياً ممتداً لا تعوقه أي عمد أو دعائم، ويتقدم الجميع سقيفة تمثل أحد أضلاع الرواق الذي يحيط بالصحن المشترك بين الجامع والمدرسة المقابلة له بالتشابه مع المثالين السابق ذكرهما من قبل – شكل رقم (١٥)، لوحة رقم (٨) –.

ولم يكتفِ المعمار العثماني بتطوير طراز بورصة الأول عند هذا الحد بل تعداه إلى جعل قبته تقوم على **قطاع مثمن الشكل**، وهو ما نشاهد أولى نماذجه في مخطط **جامع بالي باشا Bali Paşa بإستانبول** (٩١٠هـ/ ١٥٠٤–١٥٠٥م) والذي شيدته **Hüma Hatun** ابنة الوزير **اسكندر باشا** لزوجها **بالى باشا** والمتوفى عام (٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)[١]، وكذلك الحال في **جامع خادم إبراهيم باشا İbrahim Paşa** فى **سليورى قابى (باب سيلورى) Silivri Kapi** (٩٥٨هـ / ١٥٥١م)[٢]، ومنطقة انتقال قبة الأول من مثلثات كروية، أما في جامع خادم إبراهيم من حنايا

البوسنة حيث ولد في قلعة صوقل (Sokol)، وللاستزادة حول كونه من أبناء الدوشيرمة، والمناصب التي تولاها، وعمائره العديدة والتي منها: جامع ومدرسة بقادرغه، وآخر عند عزب قابي في إستانبول، وغيرهما، راجع، كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة بنيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م، ص ٤٧٥؛ وكذا، Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 271 – 276, 281 – 282; Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 114 – 121 ؛ وكذا، أحمد محمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ص ٢٧٢ – ٢٨٨.

(١) Goodwin, A History of Ottoman Architecture, p. 244.

(٢) حول جامع خادم إبراهيم باشا في سليوري قابي وترجمة منشئه، وتكوينه المعماري وهندسة بنائه، وسقيفته، راجع، Goodwin, A History of Ottoman Architecture, p. 244; Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 101 – 104؛

وكذا، أحمد محمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ص ١٦٤ – ١٦٨.

ركنية معقودة ومشعة بشكل الصدفة أو المحارة (حنايا محارية)، ترتكز على صفوف مقرنصة، ومن النماذج الأخرى للقبة المثمنة **بجامع رستم باشا Rüstem Paşa بتكيرداغ Tekirdage** (٩٦٠هـ/٥٢- ١٥٥٣م) - على الساحل الشمالي لبحر مرمرة - وتتقدمه سقيفة مزدوجة، وكذلك الحال في **مسجد عثمان شاه** (٩٦٥هـ / ١٥٥٧م)، على **ضفاف نهر شاه** فى **تريكالا (Τρίκαλα) باليونان**، والذي شيده **المعمار سنان** أيضاً، وذلك من أجل **قره عثمان باشا بن مصطفى باشا**، وتعلو مسقطه قبة مثمنة، وقد كانت تتقدم مخططه سقيفة مزدوجة، الداخلية منها تغطيها خمس قباب، والأمامية غير موجودة الآن، ومن الراجح أنها كانت من سقف مائل كالمعتاد في مثل هذه النوع من السقائف. - أشكال رقم (١٦) أ، ب، (١٧)، (١٨)، لوحة رقم (٩)، (١٠) أ -

وتلى ذلك مرحلة أخرى متطورة لطراز بورصة من قبة على قطاع مثمن صريح، وقد تجلى ذلك بوضوح في جامع آخر **لرستم باشا بأمينونو Eminönü** فى **إستانبول** (٩٦٩هـ / ١٥٦٢م)، والذي يعد تحفة معمارية وفنية زخرفية رائعة أبدع فيه المعمار سنان فكرة طراز بورصة من قبة وتتقدمها سقيفة مزدوجة، مع مد مساحة الفراغ الناتج عن هذه القبة المثمنة القاعدة ليمتد نحو المجنبات في شكل أجنحة جانبية مقسمة إلى ثلاثة أقسام؛ بحيث تغطى كل مجنبة قبتان وبينهما قبو متقاطع، ويلاحظ الابتكار الآخر الجديد في هذا الطراز في كونه من النوع المعلق أعلى مستودع (مخزن)، وثلاثة حوانيت تدر دخلاً على المسجد بمثابة وقفاً للصرف عليه؛ ولإبعاده عن صخب وضوضاء المنطقة التجارية المزدحمة الواقع بها الجامع بين **منطقة أمينونو Eminönü وأون قابانى Unkapani**[(١)] - شكل رقم (١٩)، لوحة

---

(١) حول التكوين المعماري وهندسة بناء جامع رستم باشا في أمينونو، ومنشئه رستم باشا الصدر الأعظم زمن السلطان سليمان القانوني، وسقيفته المزدوجة، وعناصره المعمارية وحلياته الزخرفية، وبلاطاته الخزفية الرائعة، راجع،

=Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 249 – 250;

رقم (١١) – ومن ثم يتم أداء الصلوات في هدوء وروحانية تامة، ويتقدم الجامع سقيفة مزدوجة، الداخلية خماسية القباب، والخارجية من سقف مائل مسطح.

ولم يكتفِ المعمار العثماني بما حققه من تطوير لمخططه في طراز بورصة الأول من إضافة أجنحة جانبية تمثل زيادة على الجانبين بل إنه اتجه إلى **مد فراغ قبته المركزية نحو محور جدار القبلة والمحراب، وذلك بأن غطى المحراب بنصف قبة صريح يعلوه**؛ مما ساعد على مد مساحة الفراغ نحوه، وساعد كذلك على زيادة مساحة كل رواق جانبي والمغطى بثلاث قباب، فزادت مساحة الجامع بشكل أكبر، كما في **جامع طرخان** في **كوزلوه Gözleve ببلاد القرم** (٩٥٨هـ / ١٥٥٢م)، والذي شيده المعمار سنان، من مسقط أفقي مربع تتوسطه قبة مركزية، يتعامد عليها نصف قبة على محور المحراب بحيث يعلوه – شكل رقم (٢٠) – ويكتنف ذلك التكوين المركزي رواق بكل جانب من ثلاث قباب صغيرة، وتتقدم الجميع سقيفة خماسية القباب.

ومن النماذج الأخرى مخطط **جامع السليمية Selimiye** (٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م) فى **قونية Konya** بوسط **الأناضول**[1]، والمُشيد لولي العهد في ذلك الوقت

Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 138 – 141؛

أحمد محمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ص ١٥٦ – ١٥٧، ٢٤٩ – ٢٥٨.

(١) اختلفت الآراء حول نسب هذا الجامع إلى المعمار سنان؛ وربما يكون الدليل على ذلك هو خلو تذاكر المعمار سنان الثلاث والتي تمثل مذكراته الشخصية، والتي تحصر جميع أعماله، وهي تذكرة البنيان، وتذكرة الأبنية، وتحفة المعماريين، إذ لم يرد بهم ذكر لهذه المنشأة بالمرة، والثابت أن مذكرات سنان قد ضمت كل أعماله المعمارية التي صممها، التي شيدها، والأخرى التي أشرف عليها، وحتى تلك التي رممها وأصلحها؛ ولذا فإن خلو هذه التذاكر من أحد عمائره التي شيدها أمر صعب للغاية، راجع، بيان بأسماء وحالة منشآت سنان الدينية كما وردت فى تذكرة البنيان، أحمد جودت بك، تذكرة البنيان، (قوجه معمار سنان مكملاً ترجمة جاليلة آثارى حقنده معلوماتى حاويدر مؤلف ساعى) دار سعادت، أقدام مطبعة سى ١٣١٥م؛ وكذا، أحمد محمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ملحق رقم (١)، (٢)، ص ٤٩٥ – ٥٠٤.

السلطان سليم الثاني (٩٢٩ – ٩٨٢هـ/ ١٥٢٢ – ١٥٧٤م)، والذي كان حاكماً وقتها لولاية **كوتاهية**، وتصميمه من قبة يتقدمها نصف قبة من جهة المحراب، ويكتنف تلك القبة عن اليمين واليسار رواق تغطيه ثلاث قباب صغيرة، ويلاحظ أن هذا التخطيط وما سبقه قد صُمِمَ على نسق **جامع الفاتح** القديم (الأصلي) بإستانبول (٨٦٧ – ٨٧٥هـ/ ١٤٦٢ – ١٤٧٠م) [١] تماماً، غير أنه تتقدم مسقط جامع السليمية بقونية سقيفة سباعية القباب، ويتقدم مسقط الفاتح صحن مكشوف محاط بأربع أروقة. – شكل رقم (٢١)، (٢٢)، لوحة رقم (١٢)، (١٣) –

وقد اتجه المعمار العثماني كذلك إلى **فكرة زيادة المساحة الداخلية للجامع على محور المحراب (القبلة)، بطريقة أخرى وذلك بإضافة نصف قبة صغير أقرب إلى الحنية تعلو المحراب، غير أنها تبرز نوعاً ما عن جدار القبلة**؛ فنتج عن ذلك بروز

---

(١) المخطط الأصلي لجامع الفاتح من قبة مركزية ضخمة تُهيمن على جناح القبلة قطرها (٢٦ م)، ويتعامد عليها جهة القبلة نصف قبة، ويكتنفهما رواق من ثلاث قباب بكل جانب، أي بزيادة نصف قبة، وقبة بكل رواق من الرواقين الجانبيين على مخطط جامع أوچ شرفلي في أدرنة، وعقب حدوث الزلزال في عام (١١٧٩هـ / ١٧٦٥م)؛ استوجب الأمر إعادة بنائه في عهد السلطان مصطفى الثالث بين عامي (١١٨١ – ١١٨٥هـ / ١٧٦٧ – ١٧٧١م)، وتوسعته من جهة جدار القبلة؛ مما أدى إلى نقل ضريح السلطان الفاتح وزوجته جلبهار خاتون إلى الجنوب بعد أن كان ملاصقاً لجدار القبلة، وأصبح مخطط الجامع الجديد من قبة مركزية يتعامد عليها على المحاور الأربعة الرئيسة أربعة أنصاف قباب، ولم يتبق من الجامع القديم سوى الفناء والأروقة الأربعة التي تحيط به، والشادروان الذي يتوسطه، وبعض زخارف المدخل الرئيس من المقرنصات، والمدخلين إلى الصحن، إلى جانب قواعد المئذنتين حتى الشرفة الأولى، بالإضافة إلى أجزاء من المحراب الأصلي القديم، وللاستزادة حول مهندس الجامع والقول بأنه إسكي سنان (سنان الدين يعقوب)، إلى جانب ما يضمه المجمع من (١٦) مدرسة، وضريحين، ودار شفاء، وتاب خان (مضيفة)، راجع، القرماني، أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي (ت ١٠١٩ هـ / ١٦١٠م)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، د. ت، ص ٣٠٩؛ وكذا، آصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، ص ١٨٧؛ وكذا، Unsla, Bahcet, Turkish Islamic Architecture, pp. 84 – 85, 87; Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 128 – 129.

بسيط في هذه الجهة وهذا المحور، غير أنه لم يُخل بالمنظر العام لمخطط هذا الطراز من القبة وتتقدمها سقيفة، كما في **جامع صوقللو محمد** فى **باب العَزَبْ (عزب قابى) Azabkapi بإستانبول** (٩٨٥هـ/ ١٥٧٧ – ١٥٧٨م)، ومخطط **جامع مسيح محمد باشا Mesih Paşa** (٩٩٤هـ /٨٥– ١٥٨٦م) بشارع **اسكي علي باشا** في **إستانبول** [(١)]، ويتشكل كل رواق من رواقي قبته الجانبيتين من ثلاث قباب، وتتقدمه سقيفة مزدوجة – شكل رقم (٢٣)، لوحة رقم (١٤) – الداخلية منها خماسية الأقسام من أربع قباب ويتوسطهم قبو متقاطع، والخارجية من سقف مائل مسطح.

هذا وقد ظهرت نماذج أخرى تمثل زيادة مساحة الجامع بشكل صريح وواضح جهة المحراب، في شكل نصف قبة كبير نوعاً ما يعلوه، ولكنه يبرز بشكل واضح عن جدار القبلة، وهو ما يزيد في مساحته عن نصف القبة في النماذج السابقة أعلى المحراب في مخططات **جامع صوقللو محمد بعزب قابي، ومسيح محمد** وغيرهما، غير أنه بهذا الزيادة يلاحظ أنه قد غير المعمار في الشكل العام لمخطط أُنموذج طراز بورصة الأول من قبة وتتقدمها سقيفة، بحيث جعله يختلف تماماً عنه؛ فصار أشبه في تكوينه العام إلى أُنموذج **طراز بورصة الثالث** على شكل حرف (T) الإنجليزي المقلوب، إذ إن المركز في مسقطه الأفقي بما يعلوه من القبة قد انعزل عن الأجنحة الجانبية التي تكتنفها تماماً، كما في نماذج: **جامع روم محمد باشا** (٨٧٦هـ / ٧١ – ١٤٧٢م) **بحي روم محمد باشا باسكدار** في **استانبول**، و**جامع داوود باشا** (٨٩٠هـ / ١٤٨٥م) **بحي داوود باشا** في **إستانبول**، والذي رغم صغر

---

(١) للاستزادة عن التكوين المعماري وهندسة بناء جامع مسيح محمد باشا في إستانبول، وترجمة منشئه، وعناصره المعمارية وحلياته الزخرفية، وقبته القائمة على قطاع مثمن، وأجنحته الجانبية، إلى جانب أهم عمائره بمصر، راجع،

Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 270 – 271؛ ووثيقة وقف مسيح باشا الوالي العثماني كافل المملكة الشريفة الإسلامية بالديار المصرية والأقطار الحجازية واليمن، رقم ٢٨٣٦ أوقاف، تحقيق علي محمود سليمان المليجي، إصدارات مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد ١٦، الإسكندرية ١٩٩١ – ١٩٩٢م، ص ١ – ٥٤؛ وكذا، أحمد محمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ص ٣٩٦ – ٣٩٨.

نصف القبة الذي يعلو محرابه إلا أن كل رواق من الرواقين الجانبيين اللذان يكتنفان قبته المركزية – من قبتين بكل رواق – معزولين عنها أي عن المركز تماماً، إلا من أبواب لهذه الغرف الجانبية الأربع (بمثابة ملاحق)، وتتقدم مخططه سقيفة خماسية القباب. – شكل رقم (٢٤)، (٢٥) –

وكذلك الحال في **جامع عتيق علي باشا** (٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) **بحي تشمبرلي طاش** في **استانبول** – شكل رقم (٢٦) – غير أنه لم ينعزل المركز فيه عن الجانبين إلا أن نصف القبة أعلى محرابه جعل مسقطه أقرب إلى شكل حرف (T) المقلوب – عكس مخطط جامع داوود باشا – وتتقدمه سقيفة خماسية القباب، ومن النماذج الأخرى **جامع الخسراوية لغازي خسرو بك** (٩٣٨ – ٩٤٨ هـ / ١٥٣١ – ١٥٤١م) في **مدينة سراييفو بالبوسنة** ضمن مجمعه بهذه المدينة، و**جامع فرهاد باشا** (٩٨٧هـ / ١٥٧٩م) في **بانيالوكا بيوغوسلافيا سابقاً** وغيرهم، ويرى البعض بأن المعمار العثماني قد جمع في هذه النماذج السابق ذكرها بين طراز الجامع ذو القبة والجامع ذو الأجنحة (الأواوين) والمعروف بشكل حرف (T) المقلوب[١]، غير أنه من الراجح أن مخططهم هو على نسق طراز بورصة الثالث على شكل حرف (T) الإنجليزي المقلوب تماماً وبشكل واضح وجلي وصريح، وربما يمكن نوعاً ما استثناء **جامع عتيق علي باشا بإستانبول** فقط منهم – شكل رقم (٢٦) – على أساس عدم انعزال المركز عن الجانبين في مخططه.

ويمكن أن نرجح أن الجامع الذي يمكن أن تنطبق عليه فكرة الجمع بين مخططي طراز بورصة الأول وطراز بورصة الثالث (شكل حرف T المقلوب)، بحيث لم يفقد الجامع تكوينه العام وفق طراز الجامع القبة وتتقدمه سقيفة، هو **جامع مهرماه Mihrimah Sultan** (٩٥٤هـ/ ١٥٤٧–١٥٤٨م) في **اسكدار**

---

(١) للاستزادة حول مخططات هذه المساجد وهندسة بنائها راجع، عبد الله عطية عبد الحافظ، الجوامع العثمانية المبكرة في إستانبول، ج١، ص ٥٦١ – ٥٦٤، شكل رقم (٦)، ص ٥٦٥ – ٥٦٨، شكل رقم (٧)، ص ٥٧٠ – ٥٧٤، شكل رقم (٩)؛ وكذا، محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج١، ص ١٨٩ – ١٩١، شكل رقم (٦٥).

Üsküdar بإستانبول[1]، والذي استخدم المعمار سنان فيه أنصاف القباب كذلك ليس على محور المحراب فقط، وانما أيضاً على المحورين الجانبيين لقبته المركزية، في شكل ثلاثة أنصاف قباب على المحاور الثلاثة بالنسبة لها؛ بحيث يتجه التخطيط إلى شكل حرف (T) الإنجليزي المقلوب، وأضاف المعمار قبة صغيرة يمين ويسار نصف القبة التى تغطى المحراب (تعلوه)؛ وبالتالى تحول شكل حرف (T) المقلوب إلى المسقط الأفقي المستطيل الشكل، والذي يضم الجامع القبة وتتقدمه سقيفة مزدوجة، الداخلية منها خماسية القباب، والخارجية من سقف مسطح مائل. – شكل رقم (٢٧)، لوحة رقم (١٥) –

ولم يكتفِ المعمار العثماني بما حققه من ابتكار وتطوير في أُنموذج طراز بورصة الأول من القبة القائمة على قطاع مثمن فنجده قد اتجه كذلك إلى **زيادة مساحة الفراغ في هذا المخطط ذو القبة وذلك على المحور الآخر المقابل للمحراب**، بوضع نصف قبة (في شكل حنية) آخر مثيل له في الجهة المقابلة له، بحيث يعلو المدخل الرئيس للجامع، كما في **جامع صوقللو محمد فى باب العَزَبْ (عزب قابى) بإستانبول**، والذي اتجه فيه إلى مد الفراغ المركزي الناتج عن قبته المثمنة الضخمة إلى جوانبها الثمانية من خلال وضع ثمانية أنصاف قباب بجوانبها الثمانية، بواقع نصفى قبة على المحور الطولى، ويلاحظ أن نصف القبة الذي يعلو المحراب أكثرهما عمقاً نوعاً ما؛ وبالتالي زيادة مساحة الفراغ وتوسعة الجامع من جهة المحراب (القبلة)، ومن الجهة المقابلة له أعلى الباب الرئيس للجامع من الداخل، كما وضع نصفين آخرين على المحور العرضى للجامع، أما الأربعة أنصاف قباب

---

(١) حول مخطط جامع مهرماه سلطان في اسكدار، وترجمة منشئته مهرماه سلطان ابنة السلطان القانوني، إلى جانب تأصيل مخططه، والتكوين المعماري لباقي عمائر المجمع وملاحقه، فضلاً عن عناصرهم المعمارية وحلياتهم الزخرفية، بالإضافة إلى السقيفة المزدوجة التي تتقدم مخطط هذا الجامع راجع، آصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، ص ١٩٨؛ وكذا، Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 212 – 212; Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 55 – 58؛ وكذا، أحمد محمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ١٠٩ – ١٢١.

الأخرى الباقية وهم الأصغر حجماً والأقل ارتفاعاً يبدو وكأنهم أربع حنايا، بحيث تم وضعهم فى أركان القبة الأربعة، مع وضع قبة بكل ركن من الأركان الناتجة عن هذه الأنصاف؛ مما شكل فراغاً مركزياً أكثر تطوراً واتساعاً، فيبدو الفراغ الناتج عن أنصاف القباب وكأنه بمثابة أجنحة جانبية غير صريحة تهيمن عليها القبة، بواقع جناحين يكتنفاها، وثالث جهة المحراب، ورابع في الجهة المقابلة للمحراب أو ما يمثل المؤخر، مما يلي المدخل الرئيس، بحيث يوازي الواجهة الرئيسة من الداخل، وتتقدم الجميع سقيفة مرتفعة من سقف مائل – شكل رقم (٢٨)، لوحة رقم (١٦) – ويلاحظ تشابه هذا الجامع مع **جامع رستم باشا بأمينونو** – شكل رقم (١٩)، لوحة رقم (١١) – في كونهما من النوع المعلق؛ إذ يوجد أسفل جامع صوقللو مخازن وحوانيت، بهدف الاستفادة من وقوع الجامع بأحد المناطق التجارية الكبرى وهى منطقة **جالاتا Galata**.[١]

ومن النماذج الأخرى التي تقترب من مخطط جامع صوقللو بعزب قابي **جامع نشانچى محمد باشا Nişanci Paşa** (٩٩٧هـ / ١٥٨٨م) **بقره جمرك** في **إستانبول**[٢]، والذي يختلف عنه في كون مساحته المركزية تهيمن عليها قبة مثمنة القطاع، اتخذت **شكل صليب متعامد** من خلال أنصاف القباب المحورية (على المحاور الأربعة الرئيسة)، والتي تبدو في هيئة معزولة عن الأجنحة الجانبية المشكلة حولها، وتتقدمه سقيفة خماسية الأقسام من أربع قباب ويتوسطهم قبو متقاطع، مثل السقيفة الداخلية التي تتقدم **جامع مسيح محمد باشا.** – شكل رقم (٢٣)، (٢٩) –

ويلاحظ ظهور مخطط يقترب من المخططين السابقين في **أوروبا العثمانية** وتحديداً **بسيريس بسيريز Serres (سيروز Siruz)** في **منطقة مقدونيا الوسطى**

---

(١) يرى كوران عدم التوازن والتناسب فى التخطيط العام المركزى للجامع نتيجة اختلاف حجم أنصاف القباب الغير متساوى، مما أفقد القبة توازنها وتوافقها راجع،

Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 144, 149.

(٢) للاستزادة عن جامع نشانجي محمد باشا، راجع، Kuran, Sinan, The grand Old Master, pp. 234 – 235.

بشمال اليونان Σέρρες، وهو **جامع ذنجرلي**، والذي أرخه **كيل (Kiel, M.)** بالربع الأخير من القرن (١٠ هـ / ١٦م) [١]، ولكن يتعامد على محاوره الأربعة الرئيسة قبو برميلي بكل محور بديلاً عن أنصاف القباب **بجامعي صوقللو محمد بعزب قابي وجامع نشانچي محمد**، كما أن باقي أجزاء الأجنحة الجانبية والمؤخر يغطيهم أقبية متقاطعة، بالإضافة إلى أن السقيفة التي تتقدمه مقسمة إلى خمسة أقسام من أربعة أقبية متقاطعة وتتوسطهم قبة، ورغم أن هذا المخطط مثل الأُنموذجين السابقين من قبة مركزية تهيمن على التخطيط، وقد قام المعمار بعد عدة تجارب سابقة بمد الفراغ الناتج عنها من خلال جناحين جانبيين، وثالث جهة المحراب، ورابع يمثل المؤخر، إلا أن **أحد الباحثين** يرى أن **مخطط جامع ذنجرلي** يمثل أُنموذجاً فريداً ينتمي – على حد قوله – إلى **النمط المتعدد القباب والمعروف بطراز بورصة الثاني**، ويضيف بأن المعمار قد عالج فيه الفراغ الداخلي بشكل مبتكر، مع احتمال أن يكون مستوحى من **مسجد صوقللو بعزب قابي**، مع وجود اختلاف في بعض المفردات والتفاصيل[٢]. – أشكال رقم (٢٨)، (٢٩)، (٣٠)، لوحة رقم (١٠) ب –

ومن القطاعات الأخرى التي استحدثها المعمار العثماني في جوامعه ذات القبة وتتقدمها سقيفة **القطاع الذي يتشكل من ستة عشر ضلعاً لقاعدة القبة**، وذلك من خلال استخدامه لمنطقة انتقال من **الحنايا الركنية الثلاثية**، على هيئة العقد الثلاثي الفصوص (المدائني)، وإن قلت نماذجها، والحقيقة أن هذا النوع من مناطق الانتقال

---

(١) أرخ أحمد أمين هذا الجامع بعام (١٤٩٢م)، وحول التكوين المعماري وهندسة بناء هذا الجامع وعناصره المعمارية، ووحدات تصميمه الداخلي، وحلياته الزخرفية راجع،

Amin, ahmed, Islamic architecture in Greece: mosques, foreword by Mostafa El Fiki, Center for Islamic Civilization Studies, Bibliotheca Alexandrina, Alexandria, Egypt, 2017, pp. 130, 132 – 133, 135, 138 – 140, Fig. 23, 30, Pl. 209 – 257.

(٢) حول تفاصيل هذا الرأي راجع، محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج١، ص ٢٠٤ – ٢٠٥، شكل رقم (٨٨)، (٨٩)، وللاستزادة عن تأصيل مخطط النمط المتعدد القباب والمعروف بطراز بورصة الثاني راجع، محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج١، ص ٢٠١ – ٢٠٤.

يمثل مظهر أصالة في العمارة العثمانية نقله معماريوها عن أسلافهم الأتراك؛ فقد شاع استخدامه من قبل في **العمارة التركية القره خانية** [1]، ثم عند **السلاچقة العظام** في **بلاد فارس**، ثم تبعهم في ذلك **سلاچقة الروم بالأناضول**، كما في منطقة انتقال قبة المحراب **بالجامع الكبير في مَلَطْية (ملاطية)** (٦٢١هـ / ١٢٢٤م) **بشرق الأناضول**[2]، وقد انتقل هذا النوع من مناطق الانتقال إلى مصر على يد أحد أمراء المماليك الچراكسة وهو **الأمير يشبك من مهدي دوادار كبير السلطان قايتباي الأشرفي**، والذي كلفه بالتوجه إلى بلاد الشام لمحاربة **إمارة ذولقادريين** إبتداءاً من عام (٨٧٥هـ / ١٤٧٠م) فنقلها عن عمائرهم، وذلك في **قبته بميدان كوبري القبة** (٨٨١ – ٨٨٢هـ / ١٤٧٦ – ١٤٧٧م) – أثر رقم (٤) – في **القاهرة** – لوحة رقم (١٧) – **والقبة الفداوية** بشارع العباسية (٨٨٤ – ٨٨٦هـ / ١٤٧٩ – ١٤٨١م) – أثر رقم (٥) – [3]، وهو ما كان له التأثير الأقوى في استخدام هذا النوع من مناطق

---

(١) تعد **الدولة القره خانية (القراخانية)** هي أول الدول التركية الإسلامية التي تكونت في آسيا الوسطى، وقد كانوا يعرفون بخانات التركستان الأويغور، أو خانات الإيلبك أو آل أفراسياب، ويعد القارلوق الترك (Karluk Turks) بالاتحاد مع الجيكيل واليغما (Chighil & Yaghma)، وهم الذين أسسوا تلك الدولة، وقد امتد عمر دولة القره خانيون من منتصف القرن (٣هـ/ ٩م) إلى أوائل القرن (٧ هـ / ١٣م)، وللاستزادة عن تاريخ هذه الدولة راجع:

الفصل الخامس من حسن محمود، الإسلام في آسيا الوسطى، ١٩٧٢م، وحول نشاطهم المعماري وفنونهم راجع: آصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، ص ١٠ – ٢٠؛ وكذا،

Goodwin, A History of Ottoman Architecture, p. 33؛

على المليجي، الطراز العثمانى فى عمائر القاهرة الدينية، مج١، ص ٩٤.

(٢) حول مخطط الجامع الكبير في ملطية، وكونه مأخوذاً عن عمارة السلاجقة العظام بإيران، إلى جانب مادة بنائه ومهندسه يعقوب بن أبي بكر من ملطية، فضلاً عن حلياته وعناصره الزخرفية والتي وجد اسم مزخرفها أحمد بن يعقوب كاتب الآيات القرآنية، بالإضافة إلى شكل الحنية ثلاثية الفصوص بقبة محرابه، والاصلاحات التي مر بها هذا الجامع في فترة النفوذ المملوكي على ملطية أواخر القرن (٨ هـ / ١٤م)، إلى جانب النماذج الأولى للحنية ثلاثية الفصوص راجع،

على المليجي، الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية، مج ١، ص ١٧٣ – ١٧٥، ٣٣٢.

(٣) للاستزادة حول ترجمة الأمير يشبك من مهدي وما تقلده من مناصب، إلى جانب أهم أعماله ومنشآته المعمارية، والتكوين المعماري وهندسة البناء لمنشأته بكوبري القبة راجع، =

الانتقال في منشأتين يرجعان إلى العصر العثماني (٩٢٣ – ١٢١٣هـ / ١٥١٧ – ١٧٩٨م) وفق طراز بورصة الأول في القاهرة، وهما **جامع السنانية** في **منطقة بولاق أبو العلا** (٩٧٩هـ / ١٥٧١م) [١] – شكل رقم (٣١)، لوحة رقم (١٨) – غرب **القاهرة** – أثر رقم (٣٤٩) – و **جامع محمد بك أبو الدهب** تُجاه **الجامع الأزهر** (١١٨٧ – ١١٨٨هـ / ١٧٧٣ – ١٧٧٤م) بميدان الأزهر – شكل رقم (٣٢)، لوحة رقم (١٩) – في **القاهرة** [٢] – أثر رقم (٩٨) –.

ويلاحظ أن مناطق الانتقال في هذين الأُنموذجين السابقين بالقاهرة من حنايا ركنية ثلاثية الفصوص قد حول قاعدة القبة إلى ستة عشر ضلعاً، وقد ازدان الفص الأوسط (العلوي) بالنسبة لحنيتي يمين ويسار المحراب **بلفظ** "**الجلالة**" وفق نظام المشهر (من تناوب الحجر الأبيض والأصفر)، وانتهي بحطتين من المقرنصات ذات

حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ص ٢٥٨ – ٢٦٠،

وللاستزادة عن الأراء المختلفة حول مشيد القبة الفداوية، إلى جانب التكوين المعماري وهندسة بنائها راجع، حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ص ٢٦٩ – ٢٧٢.

(١) للاستزادة عن منشيء ومخطط جامع السنانية وهندسة بنائه، وتكوينه المعماري، راجع، حجة وقف سنان باشا بن علي بن عبد الرحمن رقم (٢٨٦٩) أوقاف، المؤرخة بالعشرين من ربيع الأول سنة (٩٩٦هـ / ١٥٨٧م)؛ وكذا،

على المليجي، الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية، مج ١، ص ٣٢٣ – ٣٣٥.

(٢) حول ترجمة المنشئ محمد بك أبو الدهب، وكيف أصبح من أحد مماليك علي بك الكبير إلى شيخ البلد خلفاً له، إلى جانب مخطط جامعه، وتكوينه المعماري، وهندسة بنائه، وحلياته وزخارفه، وملاحقه، وواجهاته، راجع، الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن بن برهان الدين الحنفي (ت ١٢٤٠هـ / ١٨٢٥م)، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق أ. د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، أربعة أجزاء، عن طبعة بولاق، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٥٩٦ – ٦٠١، ٦٥١ – ٦٥٢، ٦٥٤ – ٦٥٥،

وللاستزادة حول وصف الجامع وسقيفته، راجع، حجة وقف الأمير محمد بك أبو الذهب، رقم (٩٠٠) أوقاف، مؤرخة ٨ شوال سنة (١١٨٨هـ/١٧٧٤م)، ص ١٤ – ٢٠، ص ٢٩؛ وكذا، على المليجي، الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية، مج ١، ص ٣٦٠ – ٣٧٤.

الدلايات، أما الفص الأوسط بالنسبة للحنيتين الأخرتين فازدان بزخارف زجزاجية (دالية) وفق نظام المشهر كذلك، فضلاً عن وجود نفس حطات المقرنصات، كما يلاحظ أن الفص الأوسط في الحنايا الأربع ينتهي في كل ركن بما يشبه الأرجل المروحية، وكأنه يرتكز عليها، كما يحدد كل حنية؛ بحيث يبدو متقدماً عنها نوعاً عقد مدبب كبير، ينتهي طرفاه المرتكزين على جداري الجامع بمقرنصات ذات دلايات، ويتصل عقد كل حنية ركنية ثلاثية الفصوص مع عقد الحنية الأخرى المجاورة لها من خلال عقد مدبب بنفس الحجم، بحيث يقع بينهما، فينتج عن ذلك ما يشبه المثلث – شكل رقم (٣٢) ب، لوحة رقم (١٩) – عن يمين ويسار عقد كل حنية في شكل رائع وبديع.

وقد اتجه المعمار العثماني كذلك إلى فكرة جديدة أخرى ضمن سلسلة ابتكاراته في **زيادة المساحة الداخلية لطراز بورصة الأول، وذلك بإضافة زيادة واضحة بشكل مباشر وصريح على المحاور الأربعة للقبة**، أي بزيادة الفراغ الناتج عن مساحتها بحيث جعله يمتد على المحاور الأربعة، في شكل زيادة تحيط بها من الجهات الأربعة لها، وذلك دون أن تتغير الهيئة والتكوين العام لمسقط الجامع والذي يميل إلى الشكل المربع أو المستطيل، وهو ما تتجلى أولى نماذجه في **جامع ديموتيقا (Dimetyoka) باليونان (٨٢٤ هـ / ١٤٢١م)**، على بعد أربعين كيلومتراً جنوبي **أدرنة**، من أجل السلطان العثماني **محمد چلبي** على يد **المعماري حاچي إيواظ** (٨٢٤هـ / ١٤٢١م)، وهو من مسقط أفقي مربع الشكل – شكل رقم (٣٣) – تبلغ مساحته (٣٠م٢)، تعلوه قبة مركزية يتعامد عليها من الجهات الأربعة لها (على المحاور الأربعة) قبو من النوع البرميلي بكل جهة، فضلاً عن قبو من النوع المتقاطع بكل ركن من الأركان الأربعة الناتجة عن هذا المخطط، وتتقدم الجميع سقيفة ثلاثية الأقسام، تعلو كل منها قبة [١].

---

(١) ورد ذكر مهندس الجامع حاچي ايواظ أعلى الباب الجانبي لجامع ديموتيقا من ناحية الجنوب بصيغة: "افتخار المهندسين واختيار المعماريين الأستاذ ايواظ بن بايزيد"، ووصف كذلك بأنه:=

واتجه المعمار كذلك إلى فكرة أخرى جديدة لتطوير المخطط السابق بهدف زيادة المساحة الداخلية بحيث جعل أنصاف القباب تحل محل الأقبية البرميلية علي محاور قبته الأربعة، وذلك في مخطط **مسجد الفاتحية الصغير** (٨٩٤هـ / ١٤٨٨م) **بأثينا في اليونان**، والذي تشغل كل ركن من أركان مسقطه قبة – شكل رقم (٣٤)، لوحة رقم (١٩) مكرر – وهو ما ظهر مرة أخرى بنفس التكوين المعماري وهندسة البناء في **جنوب الأناضول** بأحد **عمائر ذولقادريين** والذين قضي عليهم **السلطان سليم الأول** (٩١٨ – ٩٢٦هـ / ١٥١٢ – ١٥٢٠م) واستولي علي إمارتهم الفاصلة بينه وبين المماليك، وتحديداً **المسجد الكبير** في حاضرتهم **إلبستان (Elbistan)** (٩٠٥هـ / ١٤٩٨م) [١]، غير أنه تتقدم مخططه سقيفة تعلوها ثلاثة أقبية من النوع المتقاطع – شكل رقم (٣٥) – ومن النماذج الأخرى الشبيهة مخطط **مسجد فاتح باشا** (٩٢٢ – ٩٢٧هـ / ١٥١٦ – ١٥٢٠م)، وهو يعد أول مسجد عثماني **بديار بكر** في **الأناضول**، وقد شيده فاتحها **محمد باشا البيقلي** زمن **السلطان سليم الأول** [٢]، ويتميز مخطط هذا الجامع بوجود حجرتين جانبيتين تعلو كل منهما قبة، ويتقدم التخطيط سقيفة سباعية القباب – شكل رقم (٣٦) – **وجامع لاله مصطفى باشا** (٩٧٠ – ٩٧١هـ / ١٥٦٢ – ١٥٦٣م) في **أرضروم بالأناضول** – شكل رقم (٣٧) – وتتقدمه سقيفة خماسية القباب، **وجامع نصوح باشا** (١٠١٥ – ١٠٢٠هـ/ ١٦٠٦ – ١٦١١م) **بديار بكر بالأناضول**، ويلاحظ خلو هذا المخطط من السقيفة غير أنه أضيفت إليه من الجهة الشرقية مساحة كبيرة، يتوسط صدرها محراب، ومن العمائر

"الأستاذ الماهر والمهندس البارع"، ويذكر آصلان آبا أن هذا المهندس هو ابن لأحد أفراد طائفة الأخيان، وأضاف أنه حصل على لقب الباشوية فيما بعد، ويلاحظ أنه قد تعرف على العديد من أساليب البناء، ومن ثم الابتكار والإبداع في تصميم المساجد وفق الفراغ المركزي، وقد دُفِنَ بعد موته بمدينة بورصة، آصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، ص ١٧٨.

(١) آصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، ص ١٨٦، ١٩٤.

(٢) آصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، ص ١٩٣ – ١٩٤.

غير الدينية لهذا التخطيط **مكتبة راغب باشا** (١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م) في **إستانبول** – شكل رقم (٣٨) – ثم كانت قمة تطور هذا المخطط على يد **المعمار سنان** في **جامع شهزادة (شاه زاده) محمد (Şehzada Mehmed)** (٩٥٥هـ / ١٥٤٨ – ١٥٤٩م) في **حي شهزادة باشي بإستانبول**[١] بحيث جعل مخططه يتقدمه صحن (حرم) وليس سقيفة – كالمعتاد في النماذج السابقة عليه – كما جعل حجم أنصاف قبابه الأربعة تقل نوعاً عن حجم نصف قبته المركزية؛ مما أدى إلى إحداث نوع من التماثل والتوازن بالنسبة لمسقط هذا المخطط الرأسي، بالإضافة إلى المثالية في التدرج الهرمي للقبة المركزية وأنصاف القباب الأربعة المتعامدة عليها على المحاور الأربعة، والذي يبدو من الخارج بشكل واضح وجلي – شكل رقم (٣٩)، لوحة رقم (٢٠) –.

والحقيقة أن أصل هذا التخطيط والذي ظهرت أولى نماذجه في **جامع ديموتيقا باليونان** قد ظهر من قبل أوائل القرن (٥هـ / ١١م)، أي قبل المخطط العثماني **باليونان** بما يربو على أربعة قرون، وذلك على يد **القره خانيين** في **آسيا الوسطى بمسجد ديجارون (ده غارون) Deggaron** بمدينة **الخزر Khazar** – والتي تبعد حوالي (٤٠ كم) – شكل رقم (٤٠) – عن **مدينة بخاري بجمهورية أوزبكستان** حالياً – مع بعض الاختلافات والفروق بينهما؛ إذ تقل مساحة قطر القبة المركزية المهيمنة على مخطط **ديجارون** فتصل إلى (٦,٥) متراً، وترتكز على أربعة عقود مدببة، تتكئ بدورها على أربع دعامات قصيرة مستديرة الشكل، يبلغ قطر كل منها حوالي (٣٠)

---

(١) حول ترجمة شخصية شهزادة محمد ابن السلطان سليمان القانوني، وهندسة بناء جامعه هذا بإستانبول، وباقي المنشآت بداخل مجمعه البنائي، وتأصيل مخططه وتأثيراته في العمارة الإسلامية، إلى جانب أهم عناصره المعمارية وحلياته الزخرفية، راجع، Kuban, Doğan, L'Architecture Ottomane, L'Art en Turquie, p. 149; Vogt – Göknil, Living Architecture: Ottoman, p. 98; Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 206 – 211; Kuran, Sinan, The Grand of Old Master, pp. 54 – 63؛ أحمد محمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ص ١٢٥ – ١٥١.

سم، بينما بلغ قطر القبة المركزية لجامع ديموتيقا حوالي (١٣) متراً – شكل رقم (٣٣) – ويلاحظ كونها قبة مثمنة القطاع، وترتكز على أربع دعامات مستديرة ضخمة، بالإضافة إلى الاختلاف الواضح في نوع التغطية للمساحات التي تحيط بالقبة على المحاور الأربعة لها، فنجدها من نوع القبو المتقاطع في مسجد الخزر، بينما في جامع ديموتيقا من أقبية برميلية، إلى جانب الاختلاف كذلك في نوع التغطية بأركان كل مخطط منهما، فنجد أن الأركان الناتجة عن مخطط مسجد الخزر تغطي كل منها قبة في كل ركن، يبلغ متوسط قطر كل منها حوالي (٣,٦٠) متراً، بينما في مخطط ديموتيقا من أقبية متقاطعة، ويتفرد مخطط ديموتيقا عن مخطط الخزر بوجود سقيفة تتقدم الأول من ثلاثة أقسام تغطيهم ثلاث قباب [١] – شكل رقم (٣٣)، (٤٠) –.

ثالثاً– مظاهر الابتكار في التكوين الخارجي لطراز بورصة الأول وتطور شكل السقيفة التي تتقدم مخططه وتنوعها:

رغم أصالة المعماري العثماني في مخططه لأُنموذج طراز بورصة الأول في كون قبته تتقدمها سقيفة[٢] مقسمة إلى قسمين (وحدتين)، أو ثلاثة، تغطيهم إما قباب

---

(١) حول النشاط المعماري والفني للقره خانيين راجع: آصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، ص ١٠ – ٢٠؛ وكذا،

Goodwin, A History of Ottoman Architecture, p. 33 ؛

على المليجي، الطراز العثمانى فى عمائر القاهرة الدينية، مج١، ص ٩٤.

(٢) السَّقِيفَةُ: الجمع سَقَائِفُ، وهي كل بناء سُقفت به صُفَّةُ أو شِبْهُها مما يكون بارزاً، والسَّقِيفَةُ "الصُّفَّةُ"، ومنها "سَقِيفةُ بني ساعِدةَ"، وهي صُفَّةُ لها سَقْف، والسَّقِيفَةُ العريش يستظل به، وهي كل خشبة عريضة أو حجر عريض يُستطاع أن يُسَقف به حفرة أو قُترْة أو غيرها، والسَّقِيفَةُ هي كذلك لوح السفينة، وهي كل بناء خارج حدود المنزل، وهي العريش يُستظل به، راجع، ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ٩٧؛ وكذا، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط ٤، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م، ص ٢٧٥، أما بالنسبة للاصطلاح الأثري "للسَّقِيفَةُ" فهي كل خشبة عريضة كاللوح، أو حجر عريض يمكن أن يُسقف به، وتستخدم كلمة "السَّقيفَةُ" في الوثائق للدلالة على سقف يعلو الطريق أو ممر يمتد من مبنى مجاور، ويتبع هذا المبنى، وقد يحمل أجزاء من المبنى،=

أو أقبية أو يتم الجمع بينهما معاً بالاتفاق مع النماذج السلچوقية السابقة، إلا أنه اتجه إلى احداث نوع من التطوير والابتكار في التكوين المعماري وهندسة البناء، والمساحة والشكل العام للسقائف؛ بهدف زيادة وتوسعة المساحة الخارجية لهذا الطراز، بالإضافة إلى التنوع فيما تضمه جنباتها من عناصر معمارية إنشائية مثل: العقود، والدعائم والأعمدة، وما يعلوها من تيجان متنوعة الشكل، وإضافة دخلات رأسية تشبه المحاريب على جوانب المداخل التي تتوسط هذه السقائف، إلى جانب ما فُتِحَ بواجهاتها من فتحات النوافذ وما يشغلها من شبابيك، وكذلك المآذن وتعددها أحياناً وبصفة خاصة في عمائر السلاطين، فضلاً عما تزدان به جنباتها من حليات وزخارف متنوعة، ولعل من أهمها البلاطات الخزفية الرائعة؛ مما نتج عنه التنوع في أشكال السقائف العثمانية التي تتقدم مداخل أُنموذج طراز بورصة الأول، وتعدد أنواعها، وهو ما يتضح فيما يلي:

صارت السقائف التي تتقدم مساجد **مدينتي بورصة وازنيك** خلال **القرن (٨هـ. / ١٤م)** في أول الأمر على نفس نسق سقائف عمائر السلاچقة في الشكل والتكوين[١]، فكانت السقيفة تبدو في شكل جزء لا يتجزأ عن مبنى المسجد التي

وتسمى "سقيفة حاملة"، وقد تُطلق لفظة "سَّقِيفَةُ" على الصُفَة التي لها سقف، وترد في الوثائق: "الحد القبلي وفيه الواجهة والسَّقِيفَةُ"، محمد أمين وليلي إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية (٦٤٨ – ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧ م)، ط ١، دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٦٥. وللاستزادة حول أصل فكرة السقائف وأصولها الأول، وتطور شكلها وأنواعها، ونماذجها في العمارة العثمانية، راجع، أحمد محمد زكي أحمد، تطور شكل السقيفة التي تتقدم المساجد العثمانية "دراسة تحليلية مقارنة"، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد (١٨)، لسنة ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ص ٢٧ – ٨٥.

(١) من نماذج سقائف مساجد سلاچقة الروم المقسمة إلى قسمين سقيفة مسجد طاش (Taş) أو ما يُعرف باسم مسجد حاچي فروح (٦١٢هـ/١٢١٥م)، ومسجد بشارة بك (٦١٣هـ/١٢١٦م)، أما السقيفة المقسمة إلى ثلاثة أقسام بمسجد صرجالي في قونية خلال النصف الثاني من القرن (٧ هـ/ ١٣م)، وكذلك الحال في المسجد الملحق بمدرسة انچه منارة لي (İnçe Minare Li) في مدينة قونية=

تتقدمه، بل إنها تندمج معه كوحدة واحدة وكهيكل واحد؛ لكونها ترتفع بارتفاع كتلة التكوين الأساسي لهذا المبنى، كما أنها كانت مقسمة إلى قسمين (وحدتين)، أو ثلاثة أقسام (وحدات)، إلى جانب أن مادة بنائها من تناوب الطوب (الآجر) والحجر، وكان يُفتح بواجهتها صفين من النوافذ، كما أن جوانبها كانت مغلقة، أي أن طرفيها غير مفتوحين على الخارج (أي من الجانبين)، كما أنها كانت تطل على الخارج ببائكة من عقود تقوم على عمد أو أكتاف[1]، كما في سقائف جوامع: **حاچي أوزبك** (٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م) في **ازنيك**، **وجامع علاء الدين** في **بورصة** (٧٣٦هـ/٣٥ – ١٣٣٦م)، **ويشيل جامع في ازنيك** (٧٨٠ – ٧٩٥هـ / ١٣٧٨ – ١٣٩٢م)، وكذلك الحال في **جامع اسكندر باشا** في **اخلاط (خلاط) Khalat – Ahlat** (٩٧٢هـ / ٦٤ – ١٥٦٥م) على الشاطئ الشمالي الغربي لبحيرة وان **بمنطقة الأناضول الشرقية** – شكل رقم (٦)، (٧)، لوحة رقم (٢)، (٢١) –.

ويلاحظ أنه خلال **القرنين (٩ – ١٠هـ / ١٥ – ١٦م)**، بدأ يحدث نوع من التطوير في شكل السقائف وتكوينها المعماري والتي تتقدم أُنموذج طراز بورصة الأول في **مدينة إستانبول**، وبالاختلاف عن مثيلاتها في نماذج **مدينتي بورصة وازنيك**؛ فأصبحت **سقائف إستانبول** ذات جوانب مفتوحة وغير مغلقة، إلى جانب أن طبيعة هذه السقائف بدت وكأنها تمثل كياناً مستقلاً ومنفصلاً عن مبنى المسجد؛ نظراً لكونها منخفضة عن تكوينه الأساسي وهيكله [2]، ولعل من نماذجها: سقيفة

(٦٥٨–٦٦٣هـ /١٢٦٠–١٢٦٥م)، وللاستزادة عن طرز هذه النماذج السلچوقية وهندسة بنائها يمكن الرجوع إلى دراسات كل من:

Göknil, Living Architecture, pp. 47 – 48;

على الطايش، "طراز المساجد السلچوقية ببلاد الأناضول"، ص ٢٢٧ – ٢٢٨.

(1) Ünsal, Bahçet, Turkish Islamic Architecture, p. 22;

Kuran, Sinan, The Grand Old Master, p. 44.

(2) Ünsal, Bahçet, Turkish Islamic Architecture, p. 22; =

جامع فيروز أغا (Firuz Ağa) (٨٩٦ هـ / ١٤٩١م) **بشارع ديوان** في **إستانبول** – شكل رقم (١٠)، لوحة رقم (٤) – **وسقيفة جامع اسكندر باشا** (٩٨٦هـ / ١٥٦٨م) **بحي الفاتح** في **إستانبول.**

وقد ظهرت كذلك في أُنموذج طراز بورصة الأول **فكرة السقيفة الداخلية،** والتي ربما كانت هي **النواة الأولى لفكرة السقيفة المزدوجة،** وهو ما نفذه المهندس العثماني **حاچي موسى** في مخططه **ليشيل جامع (الجامع الأخضر)** في **ازنيك،** والتي كانت – كما سبق وأسلفنا من قبل – بمثابة فكرة جديدة وابتكار يهدف من خلاله المعمار إلى زيادة مساحة الفراغ الداخلي أسفل القبة المهيمنة على هذا الطراز – شكل رقم (٧)، لوحة رقم (٢) – فبدت وكأنها جزءاً لا يتجزأ من الفراغ الداخلي، بل إنها تمثل امتداداً له.

واتجه المعمار كذلك إلى زيادة مساحة وامتداد سقائف عمائره وفق أُنموذج طراز بورصة الأول وهو ما خضع بطبيعة الحال إلى الزيادة في المساحة الداخلية لبيت الصلاة (جناح القبلة)، والتي تهيمن عليه القبة، وزيادة امتداد واجهته الرئيسة والتي تتقدمها هذه السقائف؛ فتعددت أقسامها ووحداتها، فظهرت **خماسية الأقسام (الوحدات)** من قباب فقط أو قباب وأقبية معاً، كما في: **سقيفة جوامع: داوود باشا** في **إستانبول، وجامع عتيق علي** في **تشمبرلي طاش بإستانبول، وجامع شعبان (چوبان) مصطفي باشا بضاحية جبزة (گبزه)** في **إستانبول** (٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م)، وكذلك السقيفة التي تتقدم قبة **جامع خاصكي خرّم سلطان بإستانبول** (٩٤٥هـ/٣٨–١٥٣٩م)[١]، وكذلك الحال **بجامع الخسراوية** في **حلب ببلاد الشام**

Kuran, Sinan, The Grand Old Master, p. 44.

(١) حول موقع وتاريخ بناء هذا الجامع، وكونه أول عمل معماري كبير شيده المعمار سنان، وتكوينه المعماري وملاحقه، راجع، Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 202 – 205; Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 45 – 49؛ أحمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ص ٩٣ – ١٠١.

(٩٥٣هـ/١٥٤٦م) [١]، وسقيفة **جامع بالي باشا بإستانبول**، و**جامع خادم إبراهيم باشا في سليوري قابي بإستانبول** – أشكال أرقام (١٦) أ، ب، (٢٥)، (٢٦)، (٤١)، (٤٢)، (٤٣) –.

والسقيفة الداخلية التي تتقدم كل من: **جامع مهرماه باسكدار** في **إستانبول**، و**جامع العادلية (العدلية) لمحمد باشا بن أحمد بن دوقة كين الرومي** (٩٦٣هـ/١٥٥٦م) في **ساحة بزَّة بحلب** [٢]، وقبة **جامع رستم باشا** في **تكيرداغ (Tekirdage)**، وقبة جامعه الآخر في **امينونو بإستانبول**، وقبة **جامع عثمان شاه باليونان**، وقبة **جامع الأدميرال سنان باشا** في **بشكطاش بإستانبول**، وقبة **جامع محمد أغا** في **إستانبول** (٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م)، وقبة **جامع مسيح محمد باشا** في

---

(١) للاستزادة عن مجمع الخسروية بحلب، وموقعه، ومنشئه خسرو باشا وأصله، وتكوينه المعماري وهندسة بنائه، وحلياته وزخارفه، ومخطط المدرسة الملحقة به، وضريح خسرو باشا الملحق به، راجع، آصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، ص ١٩٥، ٢٠٦؛ وكذا،

Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp 202 – 203;

Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 52 – 58؛

أحمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ص ١٠٢ – ١٠٨.

(٢) للاستزادة حول منشيء الجامع محمد باشا بن أحمد بن دوقه كين، وأوقافه على المنشأة، وهندسة بنائه وسقيفته المزدوجة، راجع، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ٣ جزء، ط ٢، دار القلم، حلب، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٨٩ – ٩٢؛ وكذا، محمد كرد علي، خطط الشام، ٦ أجزاء، مطبعة المفيد بدمشق، ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م، ج ٦، ص ٥٠؛ وكذا، محمد أسعد طلس، الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب، مطبعة الترقي بدمشق، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، ص ١٢٧؛ وكذا، محمد راغب الطباخ الحلبي، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، صححه وعلق عليه محمد كمال، ٦ أجزاء، ط ٢، دار القلم العربي بحلب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج ٣، ص ١٦٦ – ١٧٠؛ وكذا، نجوى عثمان، الهندسة الإنشائية في مساجد حلب، رسالة ماجستير في تاريخ العلوم التطبيقية، منشورات جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص ٢٦٧، ٢٧٣ – ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨٣ – ٢٨٤، ٢٨٨.

إستانبول، وسقيفة **جامع نشانچي محمد باشا بقره جمرك** في **إستانبول، وجامع ذنجرلي بسريز** في **اليونان.**

– أشكال أرقام (١٢)، (١٧)، (١٨)، (١٩)، (٢٣)، (٢٧)، (٢٩)، (٣٠)، (٤٤)، لوحات أرقام (١٠) أ، ب، (١١)، (١٤)، (١٥)، (٢٢) –

وظهرت كذلك **السقيفة السباعية الأقسام** كما في سقيفة **مسجد فاتح باشا بديار بكر، والسقيفة الداخلية** التي تتقدم: مخطط **جامع مهرماه عند بوابة أدرنة (أدرنة قابي)** في **إستانبول،** ومخطط **جامع صوقللو محمد باشا** في **قادرغه بإستانبول،** وقد كانت السقيفة في هذين الأُنموذجين بمثابة أحد أضلاع الأروقة الأربعة التي تحيط بالصحن السماوي الأوسط المكشوف، والذي يمثل الرابط العضوي الذي يجمع بين الجامع والمدرسة معاً في بناء واحد متكامل، بل وصلت السقيفة إلى **تسعة أقسام** كما في سقيفة **جامع صوقللو محمد باشا** في **لولي بورغاز** (٩٥٦ هـ / ١٥٤٩م)[١] **بإستانبول.** – أشكال أرقام (١١)، (١٥)، (٣٦)، لوحة رقم (٥)، (٨) –

ولم يكتفِ المعمار العثماني بالسقيفة المقسمة إلى أقسام متعددة بل اتجه إلى نماذجها ذات **السقف المسطح المائل،** والذي قلت نماذجه، وهو ما نراه في شكل مميز بالسقيفة التي تتقدم **جامع صوقللو محمد باشا** عند **عزب قابي بإستانبول** – شكل رقم (٢٨)، لوحة رقم (١٦) –.

واتجه المعمار العثماني كذلك في تطويره لأُنموذج طراز بورصة الأول إلى تغيير الموقع والمكان المعتاد للسقيفة، والتي من المعتاد أن تتقدم المبنى من واجهته الرئيسة المواجهة لجدار القبلة، بحيث جعلها في مرات أخرى على غير محور المحراب، وذلك بحسب موقع المبنى والجهة التي تسمح بوجودها؛ مما نتج عنه ابتكار أنواع متعددة من السقائف لم تكن معهودة في عمائر السلاچقة من قبل، ومنها: **السقيفة التي تتقدم المبنى في وضع جانبي على غير محور المحراب،** كما

(١) محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج١، ص ٢١٢ – ٢١٣.

في سقيفة **جامع أحمد كتخدا العزب** يمين المار من باب العزب **بالقسم الجنوبي لقلعة الجبل** في **القاهرة** (١١٠٩هـ / ١٦٩٨م)، والواقعة بالجهة الشمالية الشرقية منه [١] – شكل رقم (٩)، لوحة رقم (٣) – وسقيفة **مسجد طلحة** (١٠٢٩هـ / ١٦١٩م)، في **صنعاء اليمن**، والواقعة جهة الغرب منه [٢].

وظهرت كذلك فكرة جديدة وهي **تعدد السقائف**؛ بحيث تتقدم المبنى من جهات عدة بهدف زيادة مساحة المبنى، كي تستغل كمساحة مضافة للمبنى لتأدية الصلاة بها كذلك؛ ولذا شغل المعمار صدر كل سقيفة من تلك السقائف بمحراب، فظهرت **السقيفة التي تحيط بالمبنى من جانبين أي على هيئة حرف (L) الإنجليزي**، ومن نماذجها سقيفة **جامع مصلح الدين تشكركتشي Čekreči Muslihudinova) dzamija)** (٩٣٣هـ / ١٥٢٦م) في حي **الباشتشارشيا بسراييفو** في **البوسنة** بأوروبا العثمانية [٣]، وفي **استانبول** سقيفة **جامع شمسي أحمد باشا Şemsi) Ahmed Paşa) باسكدار** (٩٨٨هـ / ٨٠ – ١٥٨١م) على ضفاف مياه البسفور [٤]

---

(١) عن منشئ الجامع وموقعه في القسم الجنوبي للقلعة مما يلي باب العزب (باب السلسلة – باب الإصطبل)، إلى جانب تكوينه المعماري وهندسة بنائه وتأصيل مخططه في العمارة العثمانية داخل وخارج مصر، راجع، على المليجي، الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية، مج ١، ص ٣٥٥ – ٣٥٩؛ وكذا، محمد حمزة، موسوعة العمارة الإسلامية في مصر (المدخل)، ص ١٠٣ – ١٠٥، شكل رقم (١٤٨).

(٢) محمد حمزة، موسوعة العمارة الإسلامية (المدخل)، ص ١١٠ – ١١١، شكل رقم (١٧٩).

(٣) للاستزادة حول التكوين المعماري لهذا الجامع ومنشئه، راجع،

Hamdija Kreševljaković, džamija i vakufnama muslihuddina čekrekčije: prilog povijesti saragjeva XVI. stolječa, glasnik islamske vjerske zajednice kraljevine jugoslavije, državna štamparija, sarajevo, 1938, pp. 4 – 5, 8 – 9, 18.

(٤) عن مخطط مجمع شمسي أحمد باشا وترجمته كأول صدر أعظم من أصل عثماني نبيل؛ إذ لم يكن من أبناء الدوشيرمة (الدفشيرمة) وذلك زمن السلطان العثماني مراد الثالث، إلى جانب موقع المجمع على ضفاف البسفور باسكدار في إستانبول، بالإضافة إلى تكوينه المعماري وهندسة بنائه، راجع، =

– شكل رقم (٤٥)، لوحة رقم (٢٣) – وكذلك سقيفة **مسجد أورطة** في **سترروميكا (Strumica) بمقدونيا اليوغوسلافية** (١٠٢٢هـ / ١٦١٣م) [١]، وفي **مصر** سقيفة **جامع محمد علي** بمنطقة **البولاقي** في **الخانگاه بمدينة القليوبية** (١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م) [٢].

ومن النماذج الأخرى لفكرة **تعدد السقائف** والتي ابتكرها المعمار العثماني في طراز بورصة الأول **السقيفة التي تحيط بالمبنى من ثلاثة جوانب عدا جدار القبلة على شكل حرف (U) الإنجليزي**، في شكل رواقين جانبيين من الخارج مفتوحين على السقيفة الأمامية بحيث يتصلان بها؛ مما يرجح أن هذا النوع من السقائف ربما يكون بمثابة البداية لفكرة الأجنحة الجانبية (المستعرضة)، والتي أضيفت للمساحة الداخلية التي تشكلها القبة في طراز بورصة الأول، وقد ظهرت أولى نماذج هذا النوع من السقائف في **جامع يعقوب شاه** (٨٩٥هـ / ١٤٨٠م) **بإستانبول**، والتي يغطيها سقف خشبي مائل نوعاً، وسقيفة **مسجد لاري شلبي** (٩٢٠هـ / ١٥١٤م) **بأدرنة**، والذي تغطي سقيفته (١١) قبة، وكذلك الحال بسقيفة **جامع السنانية** في **منطقة بولاق أبو العلا** غرب **القاهرة** (٩٧٩هـ / ١٥٧١م)، وسقيفة **جامع علي باشا بالهفوف** في المملكة العربية السعودية أوائل شهر رجب (٩٧٩هـ / ١٥٧١م) [٣]، وسقيفة **جامع**

Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 282 – 283; Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 199 – 201.

(١) للاستزادة حول مخطط هذا الجامع وفق طراز بورصة الأول إلى جانب غيره من النماذج في مقدونيا اليوغوسلافية، راجع، محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، المجلد الأول، ص ١٧٤، شكل رقم (٤٨).

(٢) حاولت العثور على بقايا هذا الجامع بمنطقة البولاقي في الخانگاه بمحافظة القليوبية أو أي صور فوتوغرافية له مستعيناً بمفتشين آثار من القليوبية وغيرهم ولكن يا للأسف لم نستطع التوصل إليه تماماً، مؤكدين جميعهم لي بعدم سماعهم أي شيئ عن بقايا هذا الجامع من قبل بالمرة، راجع ما أورده محمد حمزة عن هذا الجامع،

محمد حمزة، موسوعة العمارة الإسلامية في مصر (المدخل)، ص ١٠٥ – ١٠٦، شكل رقم (١٥١).

(٣) محمد حمزة إسماعيل الحداد، عمائر الوزير قوچه سنان باشا (المتوفي ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٥م) الباقية في القاهرة ودمشق "دراسة تحليلية مقارنة للتخطيط وأصوله المعمارية"، بحث في كتاب:=

محمد بك أبو الدهب تُجاه الجامع الأزهر في القاهرة (١١٨٧ – ١١٨٨هـ / ١٧٧٣ – ١٧٧٤م) – أثر رقم (٩٨) – والذي يُعد بمثابة نسخة تكاد تكون مكررة من جامع السنانية. – أشكال أرقام (٣١)، (٣٢)، (٤٦)، لوحة رقم (١٨)، (١٩) –

ولم يكتفِ المعمار العثماني بالمساحة المضافة لمخطط طراز بورصة الأول من السقيفة التي تحيط بالمبنى من ثلاث جهات، فاتجه بخياله الخصب إلى فكرة أخرى تزيد من المساحة، وذلك بإضافة سقائف أخرى للسقيفة الأصلية التي تتقدم المبنى وهو ما يُعرف بفكرة **السقائف المزدوجة**، وكانت تغطى في الغالب بسقف مائل، إما في تكوين أمامي بالنسبة للسقيفة الداخلية، بحيث تتقدمها من جهة واحدة، وإما بحيث تحيط بها من ثلاثة جوانب، كما في: سقيفة **جامع السليمانية في چورلو (Çorlu)** (٩١٨هـ/ ١٢ – ١٥١٣م)، وسقيفة مخطط **المدرسة والتكية السليمانيتان**[١] (٩٦٢هـ

بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية (الكتاب الأول)، ط ٢ مزيدة ومنقحة، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١١٩؛ وكذا،

Bates, Ülkü, Façades in Ottoman Cairo, in: "The Ottoman city and its parts urban structure and social order", Edited by Irene A. Bier man Rija'at A. Abou – El – Haj, Donald Preziosi, Aristide D. Caratz publisher New Rochello, New York, n.d., p. 155.

(١) حول التكية والمدرسة السليمانيتان في دمشق، ومنشئهما السلطان سليمان، والمصمم المعمار سنان، وتاريخ البناء، ومكونات المجمع، والفرق بينهما وبين جامع وتكية السلطان سليم الأول في الصالحية بدمشق، إلى جانب التكوين المعماري وهندسة البناء، راجع، ابن العماد، أبي الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، المكتب التجاري، بيروت، لبنان، ج ٨، ص ٣٧٦ – ٣٧٧، ٤٠٠ – ٤٠١؛ وكذا، محمد كرد علي، خطط الشام، ج ٦، ص ٦٤، ١٤٢ – ١٤٣؛ وكذا، سليم عادل عبد الحق وخالد معاذ، مشاهد دمشق الأثرية، مطبوعات مديرية الآثار في سورية، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥٠م، ص ٦٣، ٦٥، ٦٧؛ وكذا، عبد القادر الريحاوي، المدرسة والتكية السليمانيتان، الحوليات الأثرية السورية، المجلد السابع، الجزء الأول والثاني، دمشق، ١٩٥٧م، ص ١٢٦ – ١٣٣؛ وكذا،

=Kuran, Sinan, the Grand Old Master, pp. 75 – 7؛

/ ٥٤ – ١٥٥٥م) في **دمشق**، وسقيفة **جامع العادلية** في **حلب** [١] ، وسقيفة **جامع ومدرسة الأدميرال سنان باشا** في **بشكطاش بإستانبول**، وسقيفة **جامع كاراجوز بك (Karadoz begove dzamija)** (٩٦٤هـ / ١٥٥٧م) بمدينة **موستار** في **البوسنة** [٢]، وسقيفتي **جامعي رستم باشا بتكيرداغ Tekirdage**، **وامينونو** في **إستانبول**، **وجامع عثمان شاه باليونان** – ضاعت الأمامية الآن – وسقيفة **جامع مهرماه سلطان** في **أدرنة قابي (بوابة أدرنة) بإستانبول**، **وسقيفة يني جامع (الجامع الجديد)** (١٠١٧– ١٠١٨هـ/١٦٠٨ – ١٦٠٩م) في **كوموتيني باليونان** [٣]. – أشكال أرقام (١١)، (١٢)، (١٧)، (١٨)، (١٩)، (٤٤)، (٤٧)، لوحات أرقام (٥)، (١٠) أ، (١١)، (٢٢)، (٢٤) –

أحمد محمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ص ١٦٩ – ١٨٣.

(١) يرى كوران أن أول ظهور للسقائف المزدوجة كان في جامع السليمانية في چورلو (Çorlu)، ودلل على ذلك بدليل مادي في شكل قواعد الأعمدة بالسقيفة الخارجية لهذا الجامع، والتي تُظهر هذا الازدواج على حد قوله،

Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 65 – 66.

أما جودوين فيرى أن بداية ظهور السقيفة المزدوجة كان في جامع العادلية بحلب، وقد وضع له تاريخاً مبكراً في عام (٩٢٣هـ / ١٥١٧م)، غير التاريخ الفعلي الحقيقي لهذا الجامع، Goodwin, A History of Ottoman Architecture, p. 213.

(٢) حول هذا الجامع راجع،

Hivzija Hasandedić, spomenici kulture turskogdoba u mostaru, durgo dopunjeno izdanje, islamski kulturni center, mostar, 2005, pp. 17 – 18.

(٣) حول نمط مخطط هذا الجامع فضلاً عن نماذجه الأخرى في اليونان راجع، محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج١، ص ١٧٢، شكل رقم (٣٩)؛ وكذا، عن التكوين المعماري والهندسي لهذا الجامع، وعناصره المعمارية والزخرفية راجع،

Amin, ahmed, Islamic architecture in Greece: mosques, pp. 154, 156 –159, Fig. 33, Pl. 259 – 296.

رابعاً- الربط بين الجامع في طراز بورصة الأول والمدرسة من خلال رابط مشترك يجمع بينهما وهو الصحن ومظاهر الأصالة والابتكار في ذلك:

واتجه المعمار العثماني أيضاً في زيادته للمساحة الخارجية لجامعه ذي القبة وتتقدمها سقيفة إلى فكرة جديدة ومبتكرة بحيث قام بالجمع بين الجامع في طراز بورصة الأول وبين المدرسة في مقابل بعضهما بعضاً، بحيث يواجه كل منهما الآخر، فتكون المدرسة على محور مركزى مع المحراب، ويجمع بينهما صحن سماوى مكشوف (فناء)؛ بمثابة الوحدة والرابط المشترك الذي يجمع بينهما معاً.

ويلاحظ ان هذه الفكرة للجمع بين الجامع والمدرسة، أو ما يُعرف **بطراز "الجامع – المدرسة"، في العمارة العثمانية يعد بمثابة مظهر من مظاهر الأصالة؛ إذ ظهر ما يُذكر به في عمائر السلاچقة**، بحيث يتمثل الجامع والمدرسة بجانب بعضهما بعضاً ضمن مجمع بنائي واحد (كليت)، ويوجد بينهما فناء صغير ولكنهما غير متصلين، أي أن كل منهما مستقل عن الآخر، كما في **جامع ومدرسة حاچى قليچ Haçi Kiliç** فى مدينة **قيصري (قيصرية)** (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩- ١٢٥٠م) **بالأناضول**، ثم بدأ المعمار العثماني في التطوير الأولي لهذا الطراز فى عمائره الأولى بأن تكون المدرسة فى مواجهة الجامع وعلى محوره كما فى **مجمع إسحق باشا İshak Paşa Külliyesi** فى **إنچول İnegöl** (٨٨٧هـ / ١٤٨٢م) – لوحة رقم (٢٥) – غير أنه لم يكن يربط بينهما أى رابط عضوى؛ بحيث تشكل المدرسة **حرف (U) الإنجليزي** على محور الجامع فى تناسق تام، ويكون الفصل الدراسي للمدرسة على محور واحد مع المحراب، والصحن بينهما ولكنهما غير متصلين، فكل منهما منفصل ومستقل عن الآخر تماماً، أي أنهما جامع ومدرسة في مواجهة بعضهما، ولا يوجد اتصال أو ترابط بينهما، فعلاقتهما كانت هندسية فقط، وكذلك الحال في **مجمع الخسروية بحلب** – شكل رقم (٤٣) – والذي يتداخل فيه الجامع عن طريق رواق الصحن وبائكته مع المدرسة، غير أنه لم يكن يربط بينهما بالشكل الواضح والصريح رابط [1].

(1) Kuran, Sinan, The Grand Old Master, p. 105.

وقد قام المعمار العثماني بعد ذلك بإحداث نوع من التطوير والابتكار على هذه الفكرة بما يتلاءم مع المناطق المحدودة المساحة، فأحدث تكاملاً وانسجاماً بين المبنيين، بأن قام بربطهما معاً برابط واحد وهو الصحن، بحيث يجمع بين الجامع والمدرسة معاً في مواجهة بعضهما بعضاً، أي أنه أدمجهما معاً حول فناء واحد مشترك، فأصبح الجامع وفق طراز بورصة الأول إلى الجنوب، وسقيفته تمثل أحد أضلاع الصحن، بحيث تُشكل أحد الأروقة الأربعة التي تحيط به من جميع الجهات، والمدرسة تشغل الجوانب (الأروقة) الثلاثة الأخرى منه في شكل حرف (U) الإنجليزي.

وهو ما ابدعه المعمار **سنان** بداية في **جامع ومدرسة الأدميرال سنان باشا** فى **بشكطاش بإستانبول**، بحيث أوجد ولأول مرة علاقة بنائية بين الجامع والمدرسة، جاعلاً الفناء يجمع بينهما، في وحدة واحدة – شكل رقم (١٢) – وتلاه بعد ذلك في أُنموذج أكثر تطوراً للجمع بينهما بشكل واضح وصريح، وذلك فى **جامع ومدرسة قره أحمد** فى **طوب قابى بإستانبول**، بحيث ظهر الفصل الدراسي – خلا منه مخطط **الأدميرال سنان** تماماً – في مواجهة الجامع على محوره الرئيس، أي أن المدرسة تشغل ثلاثة جوانب من الصحن، في شكل حرف (U) الإنجليزي، تقع خلفهم حجرات الطلبة، والجانب الأوسط من جوانب الصحن تتوسطه قاعة الدرس، أما الجانب الرابع الذي يواجهه فتشغله سقيفة الجامع، فأصبح الصحن يُشكل رابط عضوي صريح مشترك بين الجامع والمدرسة بحيث يجمعهما معاً – شكل رقم (١٤)، لوحة رقم (٧) – ثم أعقب هذه التجربة مرة أخرى فى **جامع ومدرسة مهرماه بأدرنة قابى** – شكل رقم (١١)، لوحة رقم (٥) – غير أن هذه المدرسة قد خلت من قاعة الدرس بالتشابه مع مدرسة الأدميرال سنان؛ وهو ما يُرجح أن العملية التعليمية ربما كانت تقام بالجامع، ثم عاد الفصل الدراسي مرة أخرى في المرحلة الأخيرة للجمع بين المدرسة والجامع وذلك في **جامع ومدرسة صوقللى محمد باشا** فى **قادرغه** – شكل رقم (١٥)، لوحة رقم (٨) – **بإستانبول** [١].

---

(1) Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 246, 254, 275; Kuran, Sinan, the Grand Old Master, pp. 112 – 114, 132 – 134.

*__النتائج:__

توصلت الدراسة والبحث إلى مجموعة من النتائج حول مظاهر الأصالة والابتكار في طراز بورصة الأول (الجامع ذو القبة وتتقدمه سقيفة) وذلك على النحو التالي:

* **أظهرت** الدراسة أصالة المعمار العثماني فيما نقله عن أسلافه السلاچقة في بعض طرز البناء، وعناصره المعمارية، وحلياته الزخرفية المطلقة، ومنها طرز بورصة الثلاثة، وتحديداً طراز الجامع ذو القبة وتتقدمه سقيفة (طراز بورصة الأول)، والذي ظهر أول الأمر في عمائر السلاچقة العظام في بلاد فارس، ومن بعدهم سلاچقة الروم، ثم في عمائر الدويلات الناشئة على أنقاض دولتهم في آسيا الصغرى.

* **أكدت** الدراسة على قيام المعمار العثماني بإخضاع طراز بورصة الأول إلى خاصية من خصائص الفنون الإسلامية، وهي خاصية التطور المتواصل؛ فابتكر وطور في التكوين المعماري وهندسة البناء لهذا الطراز، إلى جانب ما يضمه ذلك التصميم من عناصر معمارية إنشائية، ووحدات وعناصر التصميم الداخلي، بالإضافة إلى حلياته وزخارفه.

* **حاول** البحث الرد على التهم التي وجهها البعض إلى العثمانيين بكونهم معدومي الأصالة، وأن فنهم يتكون من عدة فنون مختلفة، تم تجميع بعضها إلى جانب بعض بلا أي توجيه، وذلك بالتطبيق على طراز بورصة الأول ذو القبة وتتقدمه سقيفة؛ بحيث تتبعت الدراسة مظاهر أصالته، إلى جانب الأفكار التي نفذها المعمار العثماني في سبيل تطويره وإحداث مظاهر ابتكار عليه دون الإخلال بأصالة تكوينه العام وهندسة بنائه.

* **رجحت** الدراسة استمرار طراز الجامع ذو القبة وتتقدمه سقيفة (بورصة الأول) حتى بعد فتح القسطنطينية (٨٥٧هـ / ١٤٥٣م) بفترة كبيرة، مع إحداث نوع من

التجديد والابتكار والتطوير لمساحة فراغه المركزي الداخلي، ولمساحة تكوينه الخارجي ممثلاً في سقيفته الخارجية، وذلك من خلال عرض النماذج والأمثلة الدالة على ذلك؛ وهو ما ينفي بطبيعة الحال الرأي الذي يقول بأن طراز بورصة كان بمثابة انعكاس لنظام الإدارة العثمانية البسيط في تلك الفترة المبكرة لتكوين الدولة العثمانية، وعندما اتسعت رقعتها تم الاستغناء عن هذا الطراز وخصوصاً عقب فتح القسطنطينية بما يقرب من عقدين من الزمن.

* **بينت** الدراسة الأهداف التي وضعها المعمار العثماني نصب عينيه عند تصميمه وتنفيذه لعمائره ومنشآته ومنها طراز الجامع القبة وفق طراز بورصة الأول، وهي:

١. زيادة مساحة الفراغ المركزي داخل عمائره؛ ليلائم أداء عقيدته وسنة وهدي رسوله الكريم (ص) في النهي عن قطع صفوف المصلين الممتدة بالعمد والدعائم.
٢. إكمال طرز مخططات المساجد الجامعة من طراز المسجد النبوي بالمدينة، ومروراً بطراز الجامع ذو الإيوانات والمتعامدة على الصحن أو الدرقاعة (التخطيط السني – الإيواني).
٣. مواجهة نقص الرخام المتوفر؛ وبالتالي نقص الأعمدة اللازمة لبناء عمائره وفق الطرازين السابقين لمخططات المساجد الجامعة.
٤. مواجهة جو الأناضول قارس البرودة من خلال المساحة المركزية المغطاة بقبة.

* **تناول** البحث طراز بورصة الأول بين الأصالة السلجوقية والابتكار العثماني، وذلك وفق منهج علمي قويم يقوم على الوصف والمقارنة والتحليل، مع توضيح الأدلة على مظاهر الأصالة، وما تبعها من مظاهر الابتكار والتطوير من خلال نماذج

وأمثلة مختلفة ومتنوعة ضمن جنبات ولايات الدولة العثمانية المتعددة، توضح ذلك وتؤكد عليه.

* **أوضحت** الدراسة مظاهر الابتكار في طراز بورصة ممثلاً في تطوير المساحة الداخلية له، والعمل بشتى الطرق على زيادتها من خلال بدايات محاولة زيادة مساحة الفراغ المركزي المُشكل أسفل القبة المهيمنة على التخطيط وذلك من خلال وسائل عدة، لعل منها: فكرة اضافة سقيفة داخلية كما في يشيل (الأخضر) جامع في ازنيك، والتي تُشكل امتداداً لبيت الصلاة غير معزولاً عنه، وكذلك الحال من خلال إضافة أربع دخلات تشبه الإيوان الصغير على المحاور الأربعة لمساحة القبة المركزية، كما في جوامع: أورخان في بيلاچيك، وكتخدا العزب بالقاهرة، وجامع الخان في طلاس بالأناضول.

* **أظهر** البحث الأسلوب الثاني الذي استحدثه المعمار العثماني في سبيل تطويره لطراز بورصة الأول ممثلاً في تنوع قطاعات القبة التي تُهيمن على هذا التخطيط بالإضافة إلى القطاع المربع الشكل، فظهرت القبة على قطاع سداسي، وآخر مثمن، مع ذكر النماذج والأمثلة على كل قطاع، مع توضيح فكرة التطور في كل قطاع.

* **تتبعت** الدراسة المراحل التي نفذها المعمار العثماني في تطويره للمساحة الداخلية لطراز بورصة الأول من خلال تصميمه للقبة القائمة على قطاع سداسي، بداية من جامع الأدميرال سنان في بشكطاش بإستانبول، وما يجاور قبته السداسية القطاع من رواقين جانبيين، ثم التطور التالي في جامع قره أحمد باشا في طوب قابي بإستانبول من خلال إيجاد أربعة أنصاف قباب في أركان قبته السداسية القطاع، يشكلوا مع هذه القبة المركزية أروقة جانبية لفراغ مركزي ممتد ومتصل وغير معزول، ثم التطوير الأكثر مثالية من خلال تشكيل مساحة متكاملة من الفراغ الناتج عن القبة السداسية وأنصاف القباب الأربعة في أركانها، والقائمين على جدران الجامع الأربعة مباشرة،

وذلك في جامع صوقللو محمد باشا في قادرغه بإستانبول، وقد تلى ذلك نماذج أخرى حاكت هذا النهج في الفراغ وامتداده.

* **تناول** البحث كذلك المراحل التي استحدثها المعمار العثماني في تطويره للمساحة الداخلية لطراز بورصة الأول من خلال تصميمه للقبة القائمة على قطاع مثمن بداية من جوامع: بالي باشا وخادم إبراهيم في سليوري قابي بإستانبول، وشاه عثمان باليونان، ثم زيادته لمساحة الفراغ المركزي الناتج عنها على المحورين الجانبيين من خلال ما يُعرف بإسم الأجنحة الجانبية (المستعرضة)، والمقسمة إلى ثلاثة أقسام، كما في جامع رستم باشا بأمينونو في استانبول، ثم قمة التطور بمد الفراغ الناتج عن القبة المركزية إلى جوانبها الثمانية من خلال وضع ثمانية أنصاف قباب بأركانها؛ فمثلت أجنحة جانبية ومؤخر غير صريح نتيجة لهيمنة القبة على هذا الفراغ، وذلك في جامع صوقللو محمد باشا في عزب قابي بإستانبول، وقد تبعتهم نماذج أخرى حاكت نفس النهج في مد الفراغ وزيادة المساحة أسفل القبة في طراز بورصة الأول.

* **أظهرت** الدراسة أصالة وتنوع المعمار العثماني وتطوره في مناطق انتقال القباب التي تهيمن على مخططه في طراز بورصة الأول، فكانت أصالته لأجداده في أول الأمر باستخدامه للمثلثات التركية، ثم التطور إلى المثلثات الكروية، والتي رآها في العمائر البيزنطية ووظفها بما يتفق وعمائره، ثم اتجاهه إلى الحنايا الركنية، والتي منها الحنايا الثلاثية الفصوص في عمائر أسلافه الأتراك الأوائل، والتي وجد بحسه المعماري أنها تتلائم أكثر مع القبة القائمة على القطاعين السداسي والمثمن؛ لكونها تحتاج إلى جوانب قوية أكثر من احتياجها إلى أركان قوية.

* **أوضح** البحث مظاهر التطور الأخرى التي أحدثها المعمار العثماني لزيادة المساحة الداخلية لطراز بورصة الأول وذلك على محور المحراب من خلال إضافة نصف قبة، ثم نصف قبة صغير أقرب إلى الحنية بحيث يبرز عن جدار القبلة دون

أن يُخل بمخطط الطراز العام، ثم تلاه بإضافة نصف قبة آخر مقابل له على المحور المقابل جهة الباب الرئيس (المؤخر)، مع ذكر النماذج لكل منهما والتطور من أُنموذج لآخر.

* **رجحت** الدراسة كذلك بعدم اعتبار أن الجمع بين مخططي القبة وطراز حرف (T) المقلوب بمثابة تطور لطراز بورصة الأول؛ وذلك لأن مثل هذه المخططات كان نصف القبة الذي يعلو المحراب فيها كبير بحيث يبرز بشكل واضح جداً عن جدار القبلة فصار الأقرب وبشكل صريح في تكوينه لطراز بورصة الثالث على شكل حرف (T) المقلوب، كما ينفصل فيه المركز عن الجانبين، كما في جوامع روم محمد وداوود باشا في إستانبول وغيرهم، وهو ما يختلف عن نصف القبة الصغير والذي يبدو في شكل حنية تعلو المحراب في طراز بورصة الأول دون أن تخل بتكوينه العام وهيئته المعروفة كما في جوامع: صوقللو محمد بعزب قابي ومسيح محمد ونشانچي محمد في إستانبول.

* **رجح** البحث أيضاً أن الأُنموذج الأقرب للتصميم الذي يجمع بين مخططي القبة وطراز حرف (T) المقلوب وتتقدمه سقيفة دون أن يخل ذلك بالمسقط الأفقي والتكوين العام لطراز بورصة الأول ربما يكون في مخطط جامع مهرماه باسكدار في إستانبول، والذي تتعامد فيه ثلاثة أنصاف قباب على القبة المركزية في داخل مسقطه المستطيل، ويتقدم الجميع سقيفة مزدوجة.

* **رجحت** الدراسة أن المخطط القائم على القبة المثمنة وأنصاف القباب على المحاور الأربعة لها، والتي اتخذت شكل الصليب المتعامد؛ لمحاولة مد الفراغ من خلال جناحين جانبيين ومؤخر كما في مساجد صوقللو محمد بعزب قابي، ونشانچي محمد في إستانبول، وذنجرلي في اليونان، يختلف عما قاله بعض الباحثين من أنه ينتمي إلى النمط المتعدد القباب والمعروف بطراز بورصة الثاني.

* **ألقت** الدراسة الضوء على مظاهر الأصالة والابتكار في الزيادة الواضحة للمساحة الداخلية لطراز بورصة الأول والممتدة على المحاور الأربعة للقبة المركزية المهيمنة على التخطيط العام لهذا الطراز دون الإخلال بشكله العام، وقد تتبعت الدراسة أصالته بالتأثر بالعمارة التركية القره خانية، ثم التطور من أُنموذج لآخر في العمارة العثمانية شرقاً وغرباً؛ وهو ما مهد الطريق لظهور قمة هذا التخطيط في جامع شهزادة محمد في استانبول، والذي يتقدمه صحن سماوي مكشوف، وما سار على نهجه في ولايات الدولة العثمانية المختلفة شرقاً وغرباً.

* **حرص** البحث على تناول مظاهر الأصالة والابتكار في نماذج طراز بورصة الأول، والتي حافظت على شكله العام دون أن تفقده هذه المظاهر تكوينه المعماري الأصلي من قبة وتقدمها سقيفة؛ لذا فلم يتجه البحث إلى تناول النماذج التي ظهر فيها التطور الشامل والذي بَعُدَ تماماً وبالكلية عن طراز بورصة الأول، وتجلت فيه السمات الفنية للطراز الجديد والمعروف بالطراز التقليدي (الكلاسيكي – الإمبراطوري) للعمارة العثمانية من بيت صلاة (جناح قبلة) ويتقدمها صحن سماوي (حرم)، وذلك بالاختلاف مع باحثين آخرين رأوا ذلك.

* **تتبع** البحث مظاهر الأصالة في زيادة المساحة الخارجية لطراز بورصة الأول ممثلاً في مكان الجماعة المتأخرة والمعروف بالسقيفة، والتي كانت أول أمرها في عمائر مدينة بورصة تمثل امتداداً لمثيلاتها في النماذج السلجوقية من تكوين مندمج مع المبنى كهيكل واحد متكامل يرتفع بارتفاعه، ومقسم إلى وحدتين أو ثلاثة، ومغلق الجانبين.

* **أوضحت** الدراسة ما أحدثه المعمار العثماني من مظاهر الابتكار والتطوير في المساحة الخارجية لطراز بورصة الأول ممثلاً في السقيفة التي تتقدمه من حيث زيادة مساحتها وإمتدادها؛ نظراً إلى زيادة المساحة الداخلية للمبنى، وزيادة إمتداد واجهته

الرئيسة، مما أدى إلى زيادة أقسامها ووحداتها عن العدد المعتاد من قبل، إلى جانب التطور في تكوين السقيفة المعماري وشكلها العام، بالإضافة إلى التنوع في نماذجها وأنواعها، فضلاً عما تضمه جنباتها من عناصر معمارية إنشائية، وحليات وزخارف متنوعة، مع عرض الأمثلة على ذلك.

* **ألقى** البحث الضوء على اتجاه المعمار العثماني إلى تغيير الموقع المعتاد للسقيفة في طراز بورصة الأول، والتي كانت دوماً على محور المحراب، أي على المحور الرئيس للمبنى ككل بأن جعلها بحسب المساحة المتاحة في موقع المبنى، فظهرت على محور جانبي، وجعل بصدرها محراباً لصلاة الجماعة المتأخرة، وقد عرضت الدراسة النماذج على ذلك.

* **بينت** الدراسة كيفية نجاح المعمار العثماني في زيادة مساحة التكوين الخارجي لطراز بورصة الأول ممثلاً في سقيفته بحيث جعلها إما تشغل جانبين من التكوين المعماري العام للمبنى بشكل حرف (L) الإنجليزي، وإما تشغل ثلاثة جوانب؛ بحيث تدور حول المبنى من جميع الجهات عدا جدار القبلة بشكل حرف (U) الإنجليزي، بل إنه اتجه إلى فكرة جديدة ومبتكرة وهي تعدد السقائف، أو ما يعرف بالسقائف المزدوجة، وقد تتبعت الدراسة نماذج ذلك شرقاً وغرباً في ولايات الدولة العثمانية المختلفة.

* **ألقت** الدراسة الضوء على فكرة الربط بين الجامع وفق طراز بورصة الأول وبين المدرسة؛ بحيث يتم الجمع بينهما من خلال الصحن كرابط عضوي؛ إذ يجمع بينهما كوحدة مشتركة، وقد أوضح البحث أصالة المعمار العثماني في التأثر بنماذج سلجوقية، ثم تطوره وابتكاره بأن جعل السقيفة تمثل أحد الجوانب الأربعة للصحن، وتمثل المدرسة باقي الجوانب في شكل حرف (U) الإنجليزي، مع توسط قاعة الدرس للجانب المقابل للجامع، أو تخلو المنشأة منها فيحل الجامع محلها في الوظيفة، فكان الصحن هو القاسم المشتركة بينهما، وقد عددت الدراسة النماذج والأمثلة على ذلك مع تحليل التطور من أُنموذج لآخر.